عمران
للدراسات الاستراتيجية
OMRAN
Strategic Studies

إعادة إنتاج سُلطة النظام المحلية وأثرها على عودة المُهجّرين: ريف إدلب الجنوبي نموذجاً

إعداد: بلال صطوف، ساشا العلو

ورقة بحثية

مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

مؤسسة بحثية مستقلة، تهدف لدور رائد في البناء العلمي والمعرفي لسورية والمنطقة دولةً ومجتمعاً، وترقى لتكون مرجعاً لترشيد السياسات ورسم الاستراتيجيات.

تأسس المركز في تشرين الثاني/نوفمبر 2013، كمؤسسة أبحاث تسعى لأن تكون مرجعاً أساساً ورافداً في القضية السورية، ضمن مجالات السياسة والتنمية والاقتصاد والحوكمة المحليّة. يُصدر المركز دراسات وأوراقاً منهجية تساند المسيرة العمليّة للمؤسسات المهتمة بالمستقبل السوري، وتدعم آليات اتخاذ القرار، وتتفاعل عبر منصات متخصصة لتحقيق التكامل المعلوماتي والتحليلي ورسم خارطة المشهد.

تعتمد مُخرجات المركز على تحليل الواقع بأبعاده المركّبة، بشكل يَنتُج عنه تفكيك الإشكاليات وتحديد الاحتياجات والتطلعات، ممّا يمكّن من المساهمة في وضع الخطط وترشيد السياسات لدى الفاعلين وصُنَاع القرار.

الموقع الإلكتروني www.OmranDirasat.org
البريد الإلكتروني info@OmranDirasat.org

تاريخ الإصدار: 25 أيار/ مايو 2023

جميع الحقوق محفوظة © مركز عمران للدراسات الاستراتيجية

أحد برامج المنتدى السوري

المنتدى السوري
SYRIAN FORUM

جدول المحتويات

مُلخّص تنفيذيّ 3

مدخل 4

أولاً: نموذج السُلطة المحلية وحوامله الرئيسة 6

1. الإدارة المحلية (عودة بلا عمل) 6
2. الحامل الحزبيّ (البعث من جديد) 9
3. سُلطة أمنية - عسكرية (ميليشيات وأجهزة أمنية) 11
4. قادة ميليشيات وجهاء اجتماعيون (وسطاء محليون) 13

أحمد درويش المبارك 14

خالد الضاهر 15

فؤاد علداني 17

أحمد عقرين 18

آخرون ونفوذ ميليشياوي طاغٍ 19

ثانياً: "ميكانيزمات" السُلطة المحلية 22

1. مستوى الخدمات 22
2. مستوى التعبئة والحشد 25
3. اقتصاد الميليشيات 26

أ. "التعفيش" وحديد التسليح 26

ب. مصادرة الأراضي الزراعية 30

ثالثاً: عودة النازحين.. الظروف والمعوقات 34

1. توزع نقاط عودة النازحين 34
2. أنماط ودوافع عودة النازحين 36

أ. عائلات الموظفين وقادة الميليشيات 36

ب. دوافع اقتصادية وعودة موسمية 37

ت. مخاطر أمنية ودوافع هجرة 38

3. معوقات وعراقيل العودة 39

أ. خدمات جزئية ووهمية 39

ب. "تعفيش" وهدم المنازل 39

ت. وجهاء غير فاعلين 40

ث. مناطق عسكرية يحظر العودة إليها 40
ج. تصاريح العودة 41
ح. تسوية لا تمنع الاعتقال 41
خ. ابتزاز الراغبين بالعودة 42
د. التضييق على المُلكيات العقارية 42
نتائج وخلاصات 43
نموذج السُلطة المحلية (مقاربة مدروسة) 43
إدارة الاقتصاد والخدمات (تعافٍ مُنفِّر) 45
ملف النازحين (سياسة اللاعودة) 46
خاتمة 48

مُلخّص تنفيذيّ

- يعتمد النظام مقاربة محددة في إعادة إنتاج سُلطته المحلية ضمن المناطق التي استعاد السيطرة عليها مؤخراً، تستند إلى مزيج من الهياكل الرسميّة والشبكات غير الرسميّة. تتفاعل فيما بينها لتُنتِج نموذجاً إشكالياً للسُلطة والإدارة المحلية، تتمايز فيه الأدوار ومستويات النفوذ، وتنعكس آثاره على واقع المنطقة وسكانها ومستقبل نازحيها.
- تُظهر خارطة السُلطة المحلية، سيطرة واسعة للأجهزة الأمنية والميليشيات المرتبطة بها، كحوامل أساسية لنموذج السُلطة القائم. ترسّخت تلك السيطرة بشكل أكبر بعد انتقال قادة الميليشيات من الدور العسكري - الأمني إلى أدوار إدارية وسياسية جديدة ضمن مستويات السُلطة التشريعية والتنفيذية والحزبية.
- ضمن نموذج السُلطة المحلية القائم في المنطقة، يُمثّل حزب البعث حاملاً رئيساً للإدارة المحلية، خاصة إثر هيمنة أعضائه على هياكل الإدارة المحلية بمختلف مستوياتها في انتخابات أيلول 2022، والتي انتهت قبل أن تبدأ، بعد أن حلّت "التزكية" محلّ الآلية الانتخابية، وحَسَمَت نتائج 682 مقعداً من أصل 776، سيطر الحزب على غالبيتها، وبرز فيها أعضاؤه من قادة الميليشيات العسكرية على حساب البعثيين المدنيين.
- تقبع هياكل السُلطة التنفيذية ومؤسسات الجهاز البيروقراطي للدولة ضمن المستوى الثالث لهرم السُلطة المحلية، بسبب غياب الفاعلية والتأثير مقارنة بالأجهزة الأمنية والميليشيات والحزب، ليتحول دورها إلى واجهة لاستمرار "النموذج الرسمي للإدارة المحلية"، وغطاءً يقنن سُلطة الميليشيات ونفوذها على الأرض.
- رغم حاجة النظام إلى طبقة الوجهاء الاجتماعيين كوسطاء محليين مع المجتمع، إلا أن الدور الفاعل لهؤلاء الوجهاء يغيب ضمن النموذج الجديد للسُلطة المحلية في المنطقة، بسبب تغير خارطتهم، مقابل صعود وجهاء جدد من قادة الميليشيات والمقربين من النظام دون نفوذ اجتماعي حقيقي.
- أدّت سيطرة الميليشيات على النشاط الاقتصادي وتسخير السُلطة المحلية في خدمة وتمويل قادتها وعناصرها، إلى حرمان المنطقة من وجود آلية لإدارة اقتصادها وتحقيق تعافٍ مُبكِّر فيها، فضلاً عن تحويلها إلى مصدر تمويل للميليشيات عبر مصادرة الأراضي الزراعية للنازحين واستثمارها، مقابل تنظيم "تعفيش" وهدم منازلهم بهدف استخراج حديد التسليح، إضافة إلى التهريب والترفيق وإدارة المعابر وغيرها.
- وسط تراجع فاعلية المؤسسات الرسمية على مستوى الخدمات المقدمة للسكان المحليين، يعتمد أهالي المنطقة على الجهود الفردية والشعبية في تأمين خدمات بدائية لا توفر أدنى مقومات الحياة. كما يتولى قادة الميليشيات والوجهاء والتجار المرتبطين بهم، تقديم خدمات محدودة وترميم بعض المباني الحكومية، بهدف محاباة النظام وتحقيق مصالحهم في استغلال زراعة الأراضي، وتشجيع الانتساب لهذه الميليشيات.
- رغم الترويج الواسع لعودة النازحين وافتتاح مراكز "للتسوية" وتوظيف وسطاء محليين في العملية، إلا أن جُملة من المُتغيرات البنيوية في السُلطة المحلية للمنطقة ومكوناتها قد عرقلت عودة النازحين إلى ريف إدلب الجنوبي، تتمحور جميعها حول نموذج السُلطة المحلية القائم في المنطقة وآليات عمله.

مدخل

شنَّ النظام السوري بدعم من القوات الروسية والميليشيات الإيرانية، خلال الفترة الممتدة من نهاية آب/ أغسطس 2019 إلى بداية آذار/مارس 2020، الحملة العسكرية الأخيرة على مناطق سيطرة فصائل المعارضة العسكرية في الشمال السوري، والتي أفضت إلى السيطرة على أجزاء من ريف إدلب الجنوبي، وريف حماة الشمالي، وريف حلب الغربي والجنوبي، دون عقد اتفاقيات "تسوية" أو "مصالحات"، ما تسبب بحركة نزوح كبيرة للسكان، وتدمير البنى التحتية، وتراجع في الخدمات الأساسية للمنطقة، خاصة في ريف إدلب الجنوبي، بما فيه مدن: معرة النعمان وخان شيخون وسراقب وعدد من البلدات والقرى المجاورة ذات الكثافة السكانية الأعلى مقارنة بباقي المناطق التي استهدفتها الحملة.

عقب السيطرة على المنطقة، عمل النظام على إعادة إنتاج سُلطته المحلية فيها عبر إعادة تفعيل وتشكيل المؤسسات والأجهزة الحكومية والحزبية والأمنية، فقد افتَتَحَ في 14 أيار/مايو 2020، مقراً لشعبة حزب البعث في مدينة خان شيخون، وآخر للمجلس المحلي، ثم نقَلَ في 6 تموز/يوليو 2021 مبنى محافظة إدلب من مدينة حماة إلى مدينة خان شيخون، لتكون مركزاً مؤقتاً لمحافظة إدلب، بالتوازي مع افتتاح مقرات الاتحادات والنقابات المهنية. كما مَنَحَ قادة الميليشيات والوجهاء المحليين مناصب سياسية في مجلس الشعب، وقيادة فرع حزب البعث في المنطقة، ومناصب إدارية في المجالس المحلية لمدن المحافظة، وأخرى نقابية في "الاتحاد العام للفلاحين". ثم بدأت عملية الترويج لعودة النازحين من المناطق الخاضعة لسيطرته، أو المتواجدين في مناطق المعارضة، وتوظيف شبكاته المحلية من الوجهاء وقادة الميليشيات في تشجيع العودة.

وبعد مُضي أكثر من ثلاثة أعوام على استعادة النظام السيطرة على ريف إدلب الجنوبي، إلا أن نموذج إدارة المنطقة وإعادة إنتاج السُلطة فيها ما يزال إشكالياً، في ظل تداخل عمل الأجهزة الأمنية والميليشيات مع عمل هياكل الإدارة المحلية، إذ تعتمد مقاربة النظام في إعادة إنتاج السُلطة المحلية ضمن المنطقة على مزيج من الهياكل الرسميّة، تمثلها مؤسسات الجهاز البيروقراطي للدولة، والحزبية ممثلة بفرع حزب البعث في إدلب والشُعَب والاتحادات والمنظمات التابعة له، مقابل شبكات غير رسميّة من الميليشيات والوجهاء المحليين المقربين من النظام. يتفاعل هذا المزيج بحوامله المختلفة ليُنتج نموذجاً إشكالياً للسُلطة والإدارة المحلية، تتمايز فيه الأدوار ومستويات النفوذ، وتنعكس آثاره على واقع المنطقة وسكانها، لتحدد شكل إدارتها ومستقبل نازحيها.

وعليه، تسعى هذه الورقة إلى فَهم المقاربة التي يعتمدها نظام الأسد في إعادة إنتاج سُلطته المحلية ضمن المناطق المستعادة من سيطرة فصائل المعارضة، وذلك عبر دراسة نموذج السُلطة المحلية القائم في ريف إدلب الجنوبي وتحديد حوامله الرئيسة، من هياكل رسميّة وشبكات غيررسميّة، ثم البحث في آليات تفاعلها و انعكاساتها على و اقع المنطقة وعودة نازحيها. وفي هذا الإطار تطرح الورقة سؤالاً رئيساً: ما طبيعة نموذج السُلطة المحلية القائم في ريف إدلب الجنوبي، وما انعكاساته على و اقع ومستقبل المنطقة وعودة مُهجّريها؟ ويتفرع عن هذا السؤال عدد من الأسئلة الفرعية:

1. ما الحوامل الرئيسة لنموذج السُلطة المحلية القائم في ريف إدلب الجنوبي؟
2. ما طبيعة تموضع: هياكل الإدارة المحلية، حزب البعث، الميليشيات، الأجهزة الأمنية، الوجهاء المحليون، ضمن نموذج السُلطة المحلية في ريف إدلب الجنوبي؟
3. كيف تتفاعل حوامل السُلطة المحلية فيما بينها لإدارة المنطقة، وما آثار هذا التفاعل على شكل النشاط الاقتصادي فيها، وعلى مسار التعافي المُبكّر، ومستوى الخدمات المقدم للسكان، وعودة النازحين؟
4. ما طبيعة حركة عودة النازحين إلى المنطقة، وما أبرز دوافعها، وأنماطها، ونقاط تركّزها، ومعوقاتها؟

للإجابة عن هذه الأسئلة، **اعتمدت الورقة في بنائها على نوعين من المصادر**: مصادر بيانات أولية: تمثّلت بالمقابلات، فقد أُجريت 20 مقابلة ميدانية وهاتفية مع شرائح مختلفة، على رأسهم: أعضاء مجالس محلية من القائمين على رأس عملهم في المنطقة، مسؤولو المراصد الميدانية العاملة في المنطقة[1]، ناشطون من أبناء المنطقة، نازحون من أبناء ريف إدلب الجنوبي، باحثون وصحفيون متخصصون في دراسة واقع المنطقة وشبكاتها ومتابعة تطوراتها. أما بالنسبة لمصادر البيانات الثانوية، فقد تمثّلت: بالأوراق والدراسات المنشورة حول المنطقة، وتقارير المنظمات الدولية والحقوقية ذات الصلة، والبيانات الرسمية الصادرة عن مؤسسات النظام، والقوانين والتشريعات والمراسيم الحكومية، والتقارير الصحفية ومتابعات وسائل الإعلام المحلية لواقع المنطقة وتطورات أحداثها، والمُعرّفات الرسمية لهياكل الإدارة المحلية في المنطقة.

يشمل **النطاق الجغرافي للورقة:** مناطق سيطرة النظام في ريف إدلب، والممتدة من جنوب الطريق الدولي (M4) حتى الحدود الإدارية لمحافظة حماة جنوباً وغرباً، في حين يحدها من الشرق الحدود الإدارية لناحيتي أبو الظهور وسنجار في ريف إدلب الشرقي. ويضم مجال الدراسة منطقتين إداريتين هما: معرة النعمان وخان شيخون، ويتبع لهما 4 نواحٍ إدارية: كفرنبل وحيش والتمانعة والتح، وحوالي 108 بلدات وقرى.

وتكمن أهمية هذه الورقة في استعراض نموذج إعادة إنتاج السُلطة المحلية في آخر المناطق التي استعاد النظام السيطرة عليها، إذ تساعد دراسة وتحليل هذا النموذج في رسم صورة أوضح لمقاربة الإدارة المحلية العامة التي يعتمدها النظام ضمن أغلب مناطق المعارضة التي استعاد السيطرة عليها سابقاً، وقياس أثرها المباشر على ملفي عودة المُهجّرين والتعافي المُبَكِّر ضمن تلك المناطق، خاصة في الوقت الذي يتم الحديث فيه عن "عودة آمنة" وسط مبادرات التطبيع الباحثة عن "حلّ سياسي"، وآخرها مسارا التطبيع العربي والتركي.

[1] هي محطات للتنصت والتواصل والتعميم اللاسلكي، تستخدم أجهزة إشارة عسكرية لمراقبة وتفسير الموجات اللاسلكية الصادرة عن وسائل الاتصال العسكرية لدى قوات النظام، بدأت عملها كمحطات للإنذار المبكر من خلال رصد حركة الطيران، وتحديد مواقع القصف، وتحذير المدنيين. لاحقاً، تحول عملها إلى إنشاء قواعد بيانات لنشاطات الأجهزة الأمنية والميليشيات، والشبكات التابعة للنظام، عبر التواصل المباشر مع السكان، ورصد شبكات التواصل الاجتماعي، إلى جانب التنصت اللاسلكي.

أولاً: نموذج السُلطة المحلية وحوامله الرئيسة

فور السيطرة العسكرية على المنطقة، عمل النظام على إعادة تشكيل سُلطته المحلية، بالاعتماد على مجموعة حوامل، رسميّة وغير رسميّة، إذ تتكون السُلطة المحلية للنظام بريف إدلب الجنوبي من **هياكل رسميّة** تضم: مجالس الإدارة المحلية، وفرع حزب البعث، والشُعب الحزبية والمنظمات والاتحادات التابعة له. و**شبكات غيررسميّة** تضم: وجهاء محليين وقادة ميليشيات. وإن استعراض تلك الهياكل والشبكات يساعد في تحديد ملامح هذا النموذج ورسم خارطة الفاعلين فيه، وطبيعة توزيع أدوارهم، ومستويات نفوذهم، وتأثيرهم في إعادة إنتاج السُلطة المحلية وإدارة المنطقة.

1. الإدارة المحلية (عودة بلا عمل)

تضم محافظة إدلب إدارياً ست مناطق هي: إدلب، ومعرة النعمان، وجسر الشغور، وحارم، وأريحا، وخان شيخون، يتبعها 26 ناحية[2]. وتتمثل تراتبية السُلطة المحلية الرسميّة فيها بـ: المحافظ والمجالس المحلية للمدن والبلدات والبلديات. **يعيَّن المحافظ بموجب مرسوم من رئيس الجمهورية**، ليمثِّل السُلطة التنفيذية العليا في المحافظة، ويُشكل حلقة الوصل بين السُلطة المركزية والإدارة المحلية. كما يُشرِف على عمل الوحدات الإدارية المتمثلة بمجالس محلية "مُنتخبة" للمحافظة والمدن والبلدات والنواحي[3]، والتي تتولى بدورها الإشراف على قطاعات الصحة والتعليم والنقل والطرقات وإدارة النفايات الصلبة.

أخذت تلك الهياكل الإدارية بالانسحاب تدريجياً من المحافظة إثر سيطرة قوات المعارضة العسكرية على أغلب أريافها بعد العام 2012، ومن ثم مركز مدينة إدلب في آذار/مارس 2015. ورغم انسحابها حافظ النظام على هياكل الوحدات الإدارية والمجالس المحلية لمحافظة إدلب، عبر نقل مقرّاتها ونشاطاتها إلى محافظة حماة، بعد ربط المحافظتين (إدلب، حماة) إدارياً، وإلغاء منصب محافظ إدلب، مُكتفياً بتعيين محمد نتوف مديراً لشؤون المحافظة[4].

وفي آب/أغسطس 2019، أطلق النظام وحلفاؤه حملة عسكرية لاستعادة مناطق إدلب، استمرت حتى آذار 2020، قبل أن تتوقف بموجب تفاهمات روسية - تركية، أفضت إلى سيطرة النظام على 8 نواحٍ في ريف إدلب الجنوبي والشرقي وصولاً إلى مدينة خان شيخون، وهي: (أبو الظهور، سراقب، معرة النعمان، كفر نبل، خان شيخون، حيش، سنجار، والتمانعة). وبذلك توزّعت خارطة السيطرة العسكرية في المحافظة بين قوات المعارضة والنظام، الذي سيطر على ريف المحافظة

[2] اعتمد القرار 1378 على القانون الإداري 107، المتضمن معايير تقسيم الوحدات الإدارية بحسب عدد السكان في كل منطقة، كما اعتمد على الإحصاء السكاني للمكتب المركزي للإحصاء التابع لحكومة النظام للعام 2004 وتعديلاته للعام 2011، وفق معدل النمو السكاني في سورية. للاطلاع أكثر انظر: واقع البنى المحلية الإدارية القائمة في محافظة إدلب خلال العام 2018، مركز عمران للدراسات الاستراتيجية، 31 كانون الأول/ديسمبر 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6Tv

[3] مجلس المحافظة: ممثل لكل 10000 مواطن بما لا يقل عن 50 عضواً ولا يزيد على 100 عضو. مجلس المدينة: ممثل لكل 4000 مواطن بما لا يقل عن 25 عضواً ولا يزيد على 50 عضواً، مجلس البلدة: ممثل لكل 2000 مواطن بما لا يقل عن 10 أعضاء ولا يزيد على 25 عضواً. مجلس البلدية: 10 أعضاء. للاطلاع أكثر انظر: المرسوم التشريعي رقم 107 قانون الإدارة المحلية، محافظة دمشق، 23 آب/أغسطس 2011، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6UE

[4] لأول مرة منذ خمس سنوات ... النظام يعيّن محافظاً لإدلب، بلدي حكاية وطن، 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/IcGP

الجنوبي والشرقي، بينما احتفظت الفصائل العسكرية المعارضة بسيطرتها على مركز مدينة إدلب وباقي أرياف المحافظة، حتى تاريخ إعداد هذه الورقة.

وبعد مرور قرابة شهرين على توقف العمليات العسكرية، والثبات النسبي الحذر لخارطة السيطرة والنفوذ، بدأت مناطق سيطرة النظام في إدلب تشهد عودة هياكل الإدارة المحلية، إلى جانب بعض المؤسسات والأجهزة الحكومية، وذلك إثر قرار النظام فك ارتباط محافظة إدلب عن حماة، وعودة هياكل الإدارة المحلية الخاصة بها من حماة إلى مناطق سيطرته في إدلب[5]. ففي 14 أيار/مايو 2020، افتُتِحَ مقرّ المجلس المحلي لمدينة خان شيخون وقسم الكهرباء ووحدة المياه، إضافة إلى مقرّ قيادة الشرطة وفرع شرطة المرور[6]. وفي 24 كانون الثاني/يناير 2021 افتُتِحَ مقرّ لمحافظة إدلب في مدينة خان شيخون، ما كرّس وضع المدينة كمركز إداري مؤقت للمحافظة[7]. وعلى الرغم من توافر 30 مبنى حكومياً في المنطقة، صادر النظام 50 منزلاً في المدينة وحوّلها إلى مقار حكومية وعسكرية[8]

أما بالنسبة لمناطق إدلب التي بقيت تحت سيطرة فصائل المعارضة العسكرية، فقد أعلن النظام إعادة تشكيل مجالسها المحلية افتراضياً، بعد نقل مقرّاتها وطواقمها من حماة إلى مناطق سيطرته في إدلب، ولكن دون وجود نشاط إداري أو خدمي فعلي لهذه المجالس، فرغم وجود مجالس محلية لمدينتي حارم وجسر الشغور، إلا أنها لا تمارس أي دور إداري أو خدمي في المنطقة، بسبب وقوع المدينتين ضمن نطاق سيطرة فصائل المعارضة، حتى تاريخ إعداد هذه الورقة[9].

بالتوازي مع افتتاح مراكز إدارية لمحافظة إدلب في مدينة خان شيخون، عيّن بشار الأسد في 26 تشرين الأول/ أكتوبر 2020 محمد نتوف محافظاً لإدلب[10]. وفي 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2021، أصدر الأسد المرسوم رقم 348 القاضي بإنهاء تكليف محمد نتوف، وتعيين ثائر ناصح سلهب بديلاً عنه[11]. ورغم تمثيل الأخير للسُلطة المركزية في محافظة إدلب، إلا أن منصبه يُعدّ صورياً على أرض الواقع، ولا يتمتع بالصلاحيات اللازمة لإحداث تغييرات جديّة في المناطق التي ما تزال مُصنّفة على أنها عسكرية، بل ويحتاج إلى موافقة أمنية وعسكرية لكي يجري جولاته في مناطق إدلب الواقعة تحت سيطرة النظام[12]. وبحكم محدودية الصلاحيات للمحافظ الذي يُمثّل أعلى مستويات الإدارة المحلية، فمن الطبيعي أن يمتد

---

[5] فك الارتباط مع محافظة حماة يكرس خان شيخون محافظة إدارياً، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 18 كانون الثاني/يناير 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8W7

[6] افتتاح عدة مراكز خدمية في خان شيخون بريف إدلب المحررة من "الإرهاب"، وكالة سانا، 14 أيار/مايو 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HQF6

[7] خالد الخطيب، النظام يحول خان شيخون إلى مركز لمحافظة إدلب... ما دلالات ذلك؟، تلفزيون سوريا، 31 كانون الثاني/يناير 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HQGY

[8] على سبيل المثال لا الحصر: منزل رفعت السرماني الذي أصبح مركزاً لقيادة شرطة المحافظة. للاطلاع أكثر راجع: خان شيخون مركزاً لمحافظة إدلب، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 2 كانون الأول/ديسمبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsrQ

[9] مقابلة هاتفية مع أبو حسن، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، أجريت المقابلة بتاريخ 5 أذار/مارس 2023.

[10] الرئيس الأسد يصدر مرسوماً بتعيين محمد نتوف محافظاً لمحافظة إدلب، وكالة سانا، 26 تشرين الأول/أكتوبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HQI7

[11] بينها إدلب ودرعا...الأسد يقيل أربعة محافظين ويعين جدداً، السورية نت، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HQIn

[12] محافظ جديد لإدلب بعد صراع "قطيع" و"نتوف"... هل سيغير "سلهب" واقع الحال؟، تلفزيون سوريا، 12 كانون الأول/ديسمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Hwqx

انحسار الفاعلية إلى المستويات الأدنى. فرغم عودة حوالي 6 مجالس محلية إلى المنطقة؛ إلا أن عمل معظمها يُعدّ متوقفاً بشكل كامل، ويقتصر النشاط على 3 مجالس فقط: خان شيخون والتمانعة والتح[13].

ولا يرتبط عدم فاعلية بعض المجالس ومحدودية أدوارها، بكون مناطقها الجغرافية مُسيطراً عليها من قبل قوات المعارضة، كحارم وجسر الشغور، إنما ينسحب ذلك أيضاً إلى مجالس أُخرى استأنفَت نشاطها ضمن مناطق سيطرة النظام، إذ لا يمتلك "مجلس معرة النعمان المحلي" نفوذاً يُذكر في المدينة، فرغم سيطرة أعضاء حزب البعث على مقاعد المجلس، إلا أنهم مُنعوا من دخول المعرة دون الحصول على تصريح من "المخابرات الجوية"، كما عجز المجلس عن تجهيز مبنى لممارسة نشاطه، مع المحاولات المتكررة لتحويل إحدى المدارس إلى مركز للمجلس، فاقتصر وجود أعضاء المجلس على الحضور في سيارة كبيرة بهدف تشجيع عودة النازحين. ونتيجة للعجز المالي وسوء الواقع الخدمي والأمني في مدينة معرة النعمان، أعيد مركز المجلس المحلي إلى خان شيخون في نهاية عام 2022[14]، ليقتصر العمل الإداري المحلي في المنطقة على المجالس المحلية لمدينة خان شيخون وبلدتي التح والتمانعة.

ضمن سياق محاولات إعادة تشكيل السُلطة المحلية وتمكين "شرعيتها"، أجرى نظام الأسد **انتخابات الإدارة المحلية بمختلف مستوياتها** في 18 أيلول/سبتمبر 2022. وفي إدلب، شملت الانتخابات 776 مقعداً من أصل 1340، إذ يبلغ رسمياً عدد مقاعد المجالس البلدية في محافظة إدلب 1340 مقعداً موزعة على 15 مدينة و47 بلدة و95 بلدية[15]. في حين بلغ عدد المقاعد التي شهدت انتخابات 776 مقعداً موزعة على 10 مدن و22 بلدة و25 بلدية[16]، أي بنسبة 58% من مجموع المقاعد الممثلة للمحافظة. وقد يعود استثناء 42% من انتخابات المقاعد المفترضة للمحافظة، إلى أسباب عدة، على رأسها: عدم توافر عدد كافٍ من المرشحين، خاصة عن المناطق التي ما تزال تحت سيطرة المعارضة، إضافة لوجود أغلب بلديات تلك المناطق خارج نطاق سيطرة النظام في المحافظة، أو على خطوط الجبهة مع المعارضة، مقابل تجاهل الانتخابات في بعض البلديات الصغيرة.

وبالرغم من الحشد والترويج للانتخابات المحلية على مستوى سورية، وخاصة في إدلب المستعادة حديثاً من سُلطة المعارضة؛ إلا أن العملية الانتخابية انتهت قبل أن تبدأ، خاصة بعد أن حلّت "التزكية" محلّ الآلية الانتخابية، إذ حَسَمَت "التزكية" نتائج 682 مقعداً من أصل 776، أي بنسبة 87.8% من مجموع المقاعد التي شهدت انتخابات. بينما اقتصر التنافس على 3 دوائر هي: معرة النعمان وجسر الشغور وحارم، وقد بلغ عدد المرشحين المتنافسين على المقاعد التي لم تحسمها "التزكية" 94 مرشحاً فقط[17].

ووفقاً لآلية التزكية، أفضَت نتائج "انتخابات" الإدارة المحلية إلى سيطرة أعضاء "حزب البعث" على أغلبية المقاعد ضمن مختلف المستويات (مجالس مدن، مجالس بلدات، مجالس بلديات). على سبيل المثال، سيطر أعضاء الحزب على 86

---

[13] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، أجريت المقابلة بتاريخ 9 آذار/مارس 2023.

[14] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لمدينة معرة النعمان، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، أجريت المقابلة بتاريخ 3 نيسان/أبريل 2023.

[15] المُعرّف الرسميّ لمحافظة إدلب، موقع "فيس بوك"، 3 آب/أغسطس 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4QyJ

[16] المُعرّف الرسميّ لمحافظة إدلب، موقع "فيس بوك"، 22 أيلول/ سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4QyV

[17] انتخابات إدلب تمضي من دون أحداث أمنية... والتزكية سيدة الموقف، سناك سوري، 19 أيلول/سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsNg

مقعداً من أصل 100 لمجلس المحافظة. **ومن خلال نتائج الانتخابات، يُلحَظ توجه واضح لتمكين هيمنة حزب البعث على الإدارة المحلية بمختلف مستوياتها، كما يُلحَظ تركّز الاعتماد على أعضاء الحزب ممن قادوا سابقاً ميليشيات عسكرية محلية إلى جانب النظام (كتائب البعث)**، مقابل أشخاص مضموني الولاء ممن شغلوا سابقاً مناصب في الإدارة المحلية قبل عام 2011، على غرار عبد الكريم عرنوس، الذي تولى رئاسة المجلس المحلي في بلدة التح منذ عام 2009 حتى الآن[18].

2. الحامل الحزبيّ (البعث من جديد)

يتكوّن حزب البعث في إدلب، من فرع رئيس يُمثّل المحافظة، إضافة إلى ثمانية شُعب حزبية، خرجت جميعها من المنطقة تدريجياً إثر سيطرة قوات المعارضة على أغلب أرياف المحافظة بعد العام 2012، ومن ثم مدينة إدلب في آذار/مارس 2015. وبعد استعادة قوات النظام السيطرة على ريف إدلب الجنوبي 2020، تم إعادة تفعيل نشاط الحزب وشُعبه في المنطقة.

وقد اختلفت أدوار أعضاء حزب البعث في محافظة إدلب، بحسب الظرف السياسي والعسكري الذي حكمها، ففي بداية الانتفاضة 2011، قاد معظم قيادات وأعضاء الحزب في المنطقة **مجموعات عسكرية محلية** ضمن "كتائب البعث"، وأبرزهم: الأمين السابق للفرع، أسامة قدور فضل، الذي قاد "كتائب البعث" في بلدة احسم بريف إدلب قبل سيطرة المعارضة عليها عام 2012[19]. بينما شارك رؤساء الشُعَب الحزبية في بعض المناطق بمهام مماثلة، ومنهم عبد الواحد رزوق قائد "كتائب البعث" في مدينة حارم عام 2012، قبل سيطرة المعارضة عليها[20]، كما قاد أحمد جاسم النجار "كتائب البعث" في مدينة سراقب 2012[21]. وبعد استعادة قوات النظام السيطرة على ريف إدلب الجنوبي والشرقي 2019- 2020، وعلى غرار المجالس المحلية، عاد فرع الحزب وشُعبهُ إلى المنطقة. فقد افتتح النظام بتاريخ 14 أيار/مايو 2020 فرعاً لحزب البعث في مدينة خان شيخون، قُبيل تحويلها إلى مركز المحافظة، بعد أن جهّز إحدى مدارس المدينة لتكون مقرّاً رئيساً لفرع الحزب[22].

تزامنت عودة الحزب مع **تغييرات هيكلية** عدة طالت فروعه وقياداته، فقد أصدرت القيادة المركزية لحزب البعث في 15 كانون الأول/ديسمبر 2021، قراراً يقضي بإعفاء أمين فرع الحزب، أسامة قدور فضل، وبعض الأعضاء الآخرين، وتعيين أحمد جاسم النجار أميناً للفرع. وذلك نتيجة للمخالفات والتجاوزات التي ارتكبها أعضاء قيادة الفرع، خلال وبعد السيطرة

---

[18] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، وهو أحد نازحي بلدة التح، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية وطبيعة عمله غير المعلن في الحصول على المعلومات، أجريت المقابلة بتاريخ 26 شباط/فبراير 2023.

[19] مقابلة هاتفية مع منهل باريش، باحث سياسي في برنامج مسارات الشرق الأوسط بمركز "روبرت شومان" للدراسات العليا في معهد الجامعة الأوروبية بفلورنسا، تتركز أوراقه ومقالاته على دراسة شبكات النظام. أجريت المقابلة بتاريخ 1 نيسان /أبريل 2023.

[20] عبد الواحد رزوق: بحسب تعريفه لنفسه: ولد في مدينة حارم عام 1964، خريج كلية تربية اختصاص معلم صف، سليل عائلة بعثية، حيث قتل جده محمد إبراهيم رزوق في عام 1956 في سبيل حزب البعث، وعملت العائلة في خدمة النظام خلال الثمانينيات، وهاجرت العائلة إلى سهل الروج لمدة سبع سنوات ثم عادت إلى حارم، عمل عبد الواحد رزوق في منظمة طلائع البعث منذ عام 1990 كأمين وحدة، ثم عضو وأمين رابطة الشبيبة في منطقة حارم بين عامي 2004 و2009، وعضو شعبة حزب البعث في إدلب. مع انطلاق الثورة السورية، ساهم رزوق في تنظيم مسيرات داعمة للنظام في مدينة حارم، ثم تشكيل كتائب البعث في مدينة حارم، خاضت عائلة رزوق الكثير من المواجهات مع الثوار وتعرّضت للحصار في قلعة حارم، حيث قتل أكثر من 15 مقاتل من العائلة، للاطلاع أكثر انظر: عبد الواحد رزوق ضيف موقع المجلس، الموقع الرسمي لمجلس الشعب، 18 نيسان/أبريل 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GpOe

[21] مقابلة هاتفية مع منهل باريش، مرجع سبق ذكره.

[22] خان شيخون مركزاً لمحافظة إدلب، مرجع سبق ذكره.

على المنطقة[23]، وما صاحبها من تنافس داخلي بين أعضاء الحزب، خاصة خلال عمليات السرقة/"التعفيش" التي رافقت سيطرة قوات النظام، إذ تورّط الأعضاء السابقون بعمليات سرقة مُنظّمة لمنازل المدنيين النازحين ومحاصيلهم الزراعية، شمل بعضها "تعفيش" منازل وأراضي أعضاء آخرين في الحزب، إضافة إلى التنافس في رفع التقارير الأمنية للقيادة المركزية للحزب، وكذلك للأجهزة الأمنية العاملة في المنطقة[24].

لم تكن تلك التغييرات والإقالات متعلقة بمستوى وطبيعة المخالفات المرتكبة خلال السيطرة على المنطقة، بقدر ما راعت الولاء والمكافأة على الأدوار العسكرية السابقة، فضمن سياق تلك التغييرات **يُلحَظ تركيز اعتماد النظام على أعضاء الحزب ممن قادوا ميليشيات سابقاً، في إعادة تشكيل قيادة الفروع الحزبية الحالية**، كأحمد جاسم النجار، الذي أصبح رئيساً لفرع حزب البعث في إدلب 2021، وعبد الواحد رزوق، الذي تحوّل في العام ذاته إلى عضو قيادة فرع الحزب في إدلب. وبذلك سيطرَ قادة ميليشيات "كتائب البعث" على قيادة فرع إدلب وعلى معظم مقاعد العضوية وقيادات الشُعب الحزبية، تقديراً لولائهم وقتالهم إلى جانب قوات النظام.

إضافة إلى الدور الأمني والعسكري السابق لأعضاء الحزب في المنطقة، وأدوارهم الحالية في قيادة فرع الحزب في إدلب؛ **برزت أدوار أخرى على مستوى الإدارة المحلية**، فخلال "انتخابات" الإدارة المحلية 18 أيلول/سبتمبر 2022، أكّد حزب البعث سيطرته على المجالس المحلية في المحافظة، نتيجة الحصول على المقاعد دون إجراء انتخابات تذكر، فقد أُجريت الانتخابات في ثلاث دوائر، واقتصرت على مجلس المحافظة، فيما نجحت مجالس المدن فيها بالتزكية[25]، **فمن أصل 100 عضو في مجلس محافظة إدلب، حصل أعضاء حزب البعث على 86 مقعداً**، أي بنسبة 86% من مجموع المقاعد، وحصلت أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية على 9 مقاعد، في حين حصد المستقلون 5 مقاعد فقط. كما سيطر الحزب أيضاً على **مقاعد مجلس مدينة إدلب، فمن أصل 50 مقعداً للمدينة حصد أعضاء حزب البعث 40 مقعداً**، بينما حصلت أحزاب الجبهة الوطنية التقدمية على 5 مقاعد، وحصل المستقلون على 5 مقاعد[26]. كما حصل البعث أيضاً على **9 مقاعد من أصل 10 للمكتب التنفيذي للمحافظة، وعلى 6 مقاعد من أصل7 في المكتب التنفيذي لمجلس مدينة إدلب**[27].

بالمقابل، أعادت منظمات "طلائع البعث" و"اتحاد شبيبة الثورة" و"اتحاد الفلاحين" نشاطها إلى المنطقة[28]، إذ لعب اتحاد الفلاحين برئاسة خالد الضاهر، دوراً مهماً في السيطرة على الأراضي الزراعية للنازحين[29]. كما نظّمت طلائع البعث

---

[23] شمل القرار تعيين كل من: ميادة جبرائيل جبور، فوزية محمد مناع، عوض حسن محمود، يوسف مصطفى دوبا، عبد الواحد رزوق، محمد فهد الصوص، عباس ديبو الطحان، ثائر سلهب، في عضوية قيادة الفرع. للاطلاع أكثر انظر: في خطوة نادرة... "البعث" السوري يحلّ قيادة أحد فروعه ويستبدلها بأخرى، روسيا اليوم، 16 كانون الأول/ ديسمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6VV

[24] أحمد العكلة، نازحو خان شيخون في مدينة إدلب: لن نعود، عين المدينة، 1 كانون الأول/ ديسمبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gt8y

[25] انتخابات "الإدارة المحلية".. تزوير وخلل في الإحصاء والإشراف، عنب بلدي، 20 أيلول/ سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HudW

[26] زياد عواد، انتخابات المجالس المحلية في سورية 2022: المزيد من تجذّر شبكات النظام، برنامج مسارات الشرق الأوسط، 9 كانون الثاني/يناير 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtmU

[27] قوائم الوحدة الوطنية تصدر أسماء مرشحها للمكاتب التنفيذية، سناك سوري، 15 تشرين الثاني/أكتوبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HqIw

[28] افتتاح فرع لاتحاد الفلاحين في خان شيخون بريف إدلب المحرر من "الإرهاب"، صحيفة تشرين، 15 كانون الأول/ديسمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsGN

[29] مقابلة هاتفية مع منهل باريش، مرجع سبق ذكره

فعاليات تنسيب أعضاء جدد[30]، وأطلق اتحاد شبيبة الثورة نشاطات تنسيب لعدد من الشباب[31]. **ومن خلال ما سبق، يمكن القول: إن حزب البعث اليوم، يُمثّل أحد أبرز حوامل الإدارة المحلية في نموذج إعادة إنتاج سُلطة النظام على مستوى المنطقة، خاصة لناحية السيطرة الحزبية الواضحة على هياكل الإدارة المحلية بمختلف مستوياتها، مقابل تركيز الاعتماد على قادة الميليشيات من أعضائه. والذين تعددت أدوارهم وتشابكت بصورة إشكالية مع باقي حوامل ومستويات السُلطة المحلية في المنطقة، الأمر الذي سيتضح أكثر في المحاور اللاحقة.**

3. سُلطة أمنية – عسكرية (ميليشيات وأجهزة أمنية)

اعتمدت الحملة العسكرية التي استهدف بها النظام وحلفاؤه المنطقة خلال عامي 2019-2020، على مجموعة متنوعة من الميليشيات العسكرية، عمادها "الفرقة 25" مهام خاصة/ "قوات النمر" سابقاً، والتي تُشكّل مزيجاً من عناصر المخابرات الجوية، ومقاتلي القوات الخاصة السابقة[32]، إلى جانب ميليشيات محلية، معظم عناصرها من الريف المحيط بحمص وحماة، إضافة إلى بعض الموالين للنظام من أبناء ريفي إدلب الجنوبي والشرقي. وتخضع جميع تلك المجموعات والميليشيات المحلية لقيادة ضابط المخابرات الجوية المُقرّب من روسيا، سهيل الحسن[33]. بالمقابل، شاركت ضمن الحملة ميليشيات أجنبية عدة، لبنانية وعراقية وإيرانية، بالتوازي مع تغطية جوية من الطيران الروسي[34].

اعتمدت الحملة البرية على "قوات النمر" التابعة للمخابرات الجوية في السيطرة على ريف إدلب الجنوبي، الاعتماد الذي ترك أثراً واضحاً على خريطة نفوذ الميليشيات، خاصة بعد انخفاض وتيرة المعارك العسكرية وإعادة تشكيل السلطة الأمنية في المنطقة. فاليوم، وبالرغم من تمثيل "اللجنة الأمنية العسكرية"[35]، بقيادة اللواء منذر إبراهيم، للسلطة العسكرية والأمنية الرسميّة العليا في ريف إدلب الجنوبي؛ إلا أن المخابرات الجوية تمتلك النفوذ الأكبر مقارنة ببقية

---

[30] المُعرّف الرسميّ لفرع منظمة طلائع البعث في إدلب، موقع "فيس بوك"، 29 تشرين الثاني نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4OqL

[31] المُعرّف الرسميّ لشعبة حزب البعث في مدينة خان شيخون، موقع "فيس بوك"، 9 نيسان/أبريل 2023، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4OqO

[32] وحدات مقاتلة من المشاة تضم نخبة الجيش السوري، تلقى أفرادها تدريباً عالياً، وتتميز بكونها الأقدر على تنفيذ العمليات العسكرية النوعية، شهدت تطوراً كبيراً خلال السبعينيات والثمانينيات من القرن العشرين بقيادة اللواء علي حيدر، الذي توفي في نهاية عام 2022. الوحدات الخاصة كانت تسمى قوات الصاعقة، شاركت في حرب لبنان، وأصبح اسمها القوات الخاصة، واستلمت الملف السوري في لبنان. يقوم نظام القوات الخاصة على أفواج وليس ألوية، ولها مهام مساندة الحرس الجمهوري في حماية القصور الرئاسية، تتلقى القوات الخاصة دعماً عسكرياً روسياً، فقد جُهّزت بأسلحة مماثلة لأسلحة القوات الخاصة الروسية. للاطلاع أكثر انظر: بسام يوسف، أزلام عائلة أم رجال دولة؟، تلفزيون سورية، 9 آب/أغسطس 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/IPH8، انظر أيضاً: من هو قائد "القوات الخاصة" الجديد في ميليشيا أسد... وما مهامها؟، أورينت نت، 18 حزيران/يونيو 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/IPHF

[33] من "قوات النمر" إلى اللواء السادس عشر: روسيا تُطوّر وكلاء سوريين، ترجمة: أحمد عيشة، مركز حرمون للدراسات المعاصرة، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6Yb

(34) النظام السوري وحلفاؤه يسيطرون على "خان شيخون" شمالي سورية، وكالة الأناضول، 23 آب/أغسطس 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6Y8

[35] اللجنة الأمنية والعسكرية: هي أعلى سلطة سياسية وعسكرية وأمنية في المحافظة، تتألف اللجنة الأمنية في كل محافظة من: رئيس اللجنة الأمنية وهو أعلى رتبة فيها، ثمّ المحافظ، ثمّ أمين فرع حزب البعث في المحافظة، وممثل الجبهة الوطنية التقدمية في المحافظة، إضافة للمحامي العام في المحافظة، وقائد شرطة المحافظة، وقائد الشرطة العسكرية في المحافظة، ورئيس فرع الأمن العسكري في المحافظة، ورئيس فرع المخابرات العامة في المحافظة، ورئيس فرع الأمن السياسي في المحافظة، ورئيس فرع المخابرات الجوية في المحافظة، وقائد الدفاع الوطني في المحافظة، وقيادة الفرق والألوية العسكرية في المحافظة. للاطلاع أكثر انظر: فراس عز الدين، ما هدف بشار الأسد من التغييرات الأمنية في جميع المحافظات السورية؟ بلدي حكاية وطن، 23 أيار/مايو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I7Gx

القوات العسكرية والأمنية في المنطقة، بسبب تقاسم مجموعات "قوات النمر" السيطرة والنفوذ على معظم بلدات وقرى المنطقة، خلال معارك السيطرة[36].

ونظراً لغياب خطوط الفصل الواضحة بين مناطق نفوذ هذه الميليشيات، فقد تخضع البلدة الواحدة لسيطرة أكثر من مجموعة، كما قد يختلف نفوذ كل مجموعة بحسب المنطقة التي تسيطر أو تنتشر فيها. إذ يمتلك **"لواء صقور الضاهر"** بقيادة خالد حسن الضاهر، نفوذاً على المنطقة الممتدة بين مدينة معرة النعمان وصولاً إلى سنجار وأبو ظهور، وتشمل بلدات وقرى تلمنس ودير شرقي ودير غربي وجرجناز وخيارة[37]، بينما تسيطر **"قوات الطرماح"** بقيادة وائل صالح إبراهيم، و**"درع قمحانة"** بقيادة غسان النهان، على المنطقة الممتدة بين خان شيخون ومورك، وتمارس نفوذاً في مدينة معرة النعمان إلى جانب **"قوات الطه"**[38]. كما تسيطر قوات **"فوج البواشق"** على منطقة سراقب[39]، ويسيطر **"فوج الشواهين"** على بلدات غرب معرة النعمان، في حين تنتشر حواجز **"الفرقة الرابعة"** على الطريق الدولية من خان شيخون حتى سراقب[40]، كما تنتشر في المنطقة مقار للأجهزة والقوات الأمنية الأخرى، **كالأمن السياسي والعسكري وأمن الدولة** في خان شيخون، حيث اتخذت من المباني الحكومية ومنازل المدنيين مقاراً لها، وأنشأت مربعاً أمنياً في القسم الشرقي من المدينة.

مارس قادة الميليشيات نفوذاً واسعاً على المستوى المحلي، بالاعتماد على قادة الصف الأخير من أبناء المنطقة المنخرطين ضمن الميليشيات، وأبرزهم: أحمد السرماني/"الدحل "، وفؤاد عواج، وآخرون من آل حلوم والرسلان في مدينة خان شيخون[41]، ونداء وصلاح الغجر في بلدة التح[42]، وأحمد الحسن/"حميدو" في قرية تحتايا[43]، وآل الحمدو في إعجاز وجرجناز[44]. ويبدو أن أبناء ريف إدلب الجنوبي، لم يتمكنوا من الصعود في سُلّم السُلطة والقيادة داخل تلك الميليشيات، وقد يعود ذلك إلى السيطرة المُبكّرة لقوات المعارضة على المنطقة وقلة عدد أبنائها المنخرطين في صفوف الميليشيات، والالتحاق المتأخر لمن انضم منهم إلى صفوفها. على سبيل المثال لا الحصر، معظم عناصر الميليشيات في بلدة التمانعة، التحقوا بها بعد سيطرة قوات النظام على البلدة 2019 - 2020[45].

---

[36] فوج الهادي، فوج طه، فوج حيدر، فوج الهواشم، قوات الطرماح، قوات الغيث، كتائب الرحال، الحوارث، الكميت، الليوث، المبارك، النهان، الناصر، السبع، الصبر، فوج السحاب، فوج الشواهين، مجموعات شيغاتي، اليوشع، مجموعات وعد مخلوف، فوج الظريف، مجموعات علي الحجي، البواشق، للاطلاع أكثر انظر: GREGORY WATERS, THE TIGER FORCES PRO-ASSAD FIGHTERS BACKED BY RUSSIA, The Middle East Institute. تشرين الأول/ أكتوبر 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I7HN

[37] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره

[38] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر" المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[39] ميليشيا الأسد تحوّل "إيبلا" في إدلب إلى معسكر تدريبي، شبكة آرام الإخبارية، 7 آب/أغسطس 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GpO2

[40] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[41] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[42] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[43] مقابلة هاتفية مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، أجريت المقابلة بتاريخ 4 شباط/فبراير 2023.

[44] المزادات العلنية لأراضي المشردين قسرياً أسلوب إضافي من أساليب النظام السوري للاستيلاء الواسع والمدروس على ممتلكات معارضيه، تقرير الشبكة السورية لحقوق الإنسان، 11 شباط/فبراير 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsMR

[45] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

بالمقابل، تتقاسم الميليشيات الأجنبية النفوذ مع الميليشيات المحلية في ريف إدلب الجنوبي، فقد أنشأ "حزب الله" اللبناني مركزاً له في التمانعة والقسم الغربي من مدينة خان شيخون. كما توجد كتيبة روسية في الحي الشرقي لمدينة خان شيخون، والتي اتخذت مدرسة "قاسم النجم" مقراً لها[46]، وقد تولّت "قوات النمر" مهمة حراسة الكتيبة الروسية وتأمين مقراتها[47].

جدول1: يوضّح أسماء الميليشيات المنتشرة في ريف إدلب الجنوبي ومناطق نفوذها وتبعيتها للأجهزة الأمنية.

اسم الميليشيا	مناطق السيطرة والنفوذ	تبعية الميليشيا
لواء صقور الضاهر	ريف معرة النعمان الشرقي	المخابرات الجوية "قوات النمر"
قوات الطرماح	جنوب خان شيخون	المخابرات الجوية "قوات النمر"
درع قمحانة	جنوب خان شيخون	المخابرات الجوية "قوات النمر"
قوات الطه	مدينة معرة النعمان	المخابرات الجوية "قوات النمر"
فوج البواشق	سراقب	المخابرات الجوية "قوات النمر"
فوج الشواهين	ريف معرة النعمان الغربي	المخابرات الجوية "قوات النمر"
الفرقة الرابعة	الطريق الدولي من سراقب حتى خان شيخون	-
مجموعة "حميدو"	تحتايا	الأمن العسكري
مجموعة صلاح ونداء غجر	التح	المخابرات الجوية "قوات النمر"
مجموعة الحمدو	إعجاز وجرجناز	المخابرات الجوية "قوات النمر"
حزب الله اللبناني	التمانعة والحي الغربي في خان شيخون	-
قوات روسية	الحي الشرقي في مدينة خان شيخون	-

4. قادة ميليشيات وجهاء اجتماعيون (وسطاء محليون)

تركت سنوات الحرب أثرها الواضح على خارطة الوجهاء المحليين في محافظة إدلب، بدءاً من انقسام الموقف السياسي بين مؤيد وموالٍ، ثم تبعاً لطبيعة القوى العسكرية المُسيطرة على المنطقة. فمع سيطرة قوات المعارضة عام 2012، نزح بعض الوجهاء المحليين الموالين للنظام إلى مناطق مختلفة، بينما بقي آخرون من أصحاب الموقف المعارض. وقد أدّت استعادة النظام وحلفائه السيطرة، خلال عامي 2019 - 2020، إلى نزوح أغلب الوجهاء إلى مناطق عدة، مقابل عودة آخرين، وبقاء بعضهم في أماكن نزوحهم وامتناعهم عن العودة نتيجة ظروف المنطقة الأمنية والاقتصادية.

ونتيجة لتغيّر تلك الخارطة، والحاجة إلى هذه الشريحة في إعادة تشكيل سُلطتهِ على المستوى المحلي، سعى النظام في بداية سيطرته إلى إعادة رسم وتشكيل خارطة الوجهاء والوسطاء المحليين، فعمد إلى الدفع بقادة الميليشيات الموالية له، من أبناء المنطقة، إلى الواجهة الاجتماعية، مُستثمراً خلفيات بعضهم (العشائرية، العائلية، الاقتصادية) بعد تعزيزها بمنحهم مناصب إدارية وسياسية، ثم توظيفهم في ملفات متعلقة بإدارة المنطقة وأدوار الوساطة التي تتطلبها، كملف "التسويات" وعودة النازحين، والتعبئة والحشد وغيرها. **وفي هذا الإطار، أخذت تظهر أسماء عدة لشخصيات وقادة ميليشيات محليين، انتقلت أدوارهم بدفع من النظام بحسب طبيعة كل مرحلة، قبل أن يتصدّروا الواجهة الاجتماعية تدريجياً،**

[46] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[47] أحمد العكلة، نازحو خان شيخون في مدينة إدلب: لن نعود، مرجع سبق ذكره.

يبرز منهم: خالد الضاهر، فؤاد علداني، أحمد درويش المبارك، وأحمد جميل عقرين وغيرهم. ولعلّ تتبع التحولات التي مرت بها تلك الأسماء ومسار تدرّجهم في هرم السُلطة، يساعد بتوضيح أدوارهم الحالية في إعادة إنتاج سُلطة النظام ضمن المنطقة:

أحمد درويش المبارك

يعد عضو مجلس الشعب السابق **أحمد درويش المبارك**، أحد أهم قادة الميليشيات الموالية للنظام في ريف إدلب وأشهرهم[48]. أسّسَ المبارك خلال الأشهر الأولى من الثورة 2011 مجموعة لجان شعبية باسم **"مجموعات الدرويش"**، بهدف قمع المظاهرات في ريف إدلب وحماة ثم القتال إلى جانب قوات النظام، فكانت النواة الأولى لـ**"فوج المبارك"** الذي تأسّس في عام 2013، ليصبح الفوج لاحقاً جزءاً من "قوات النمر" التابعة للمخابرات الجوية. ومن خلال تلك التبعية، باتت مهام "فوج المبارك" عابرة للمناطق، إذ شارك الفوج في معارك دير الزور وحلب والغوطة الشرقية بريف دمشق والبادية، واشتهرَ بشكل أكبر خلال العملية العسكرية التي أطلقها النظام أواخر عام 2017 للسيطرة على مناطق "شرق سكة الحديد" في أرياف حماة وإدلب وحلب، والتي كانت شرارتها الأولى مع سيطرة "هيئة تحرير الشام" في تشرين الأول/أكتوبر 2017 على معقل ميليشيا الدرويش في بلدة أبو دالي[49].

ساهم موقف الدرويش المؤيد لنظام الأسد في حصوله من جديد على **عضوية مجلس الشعب** للدور التشريعي الأول 2012 - 2016[50]، والحصول على لقب **"شيخ عشيرة بني عز/موالي"**، بعد إقصاء شقيقه فواز درويش المبارك، الشيخ السابق للعشيرة، وجميع إخوته الأكبر سناً[51]. **وعلى المستوى الاقتصادي**، استفاد زعيم ميليشيا "فوج المبارك"، من الموقع الاستراتيجي لبلدته أبو دالي، إذ كانت نقطة تماسّ بين مناطق سيطرة المعارضة والنظام، وافتتح فيها معبراً تجاريّاً ومدنياً، كانت ميليشيا الدرويش تسيطر على المعبر من جانب النظام، بينما تناوبت حركة "أحرار الشام" وهيئة "تحرير الشام" على إدارة المعبر من جانب مناطق المعارضة، وقد فرضت ميليشيا "درويش" ضرائب كبيرة على حركة العبور التجاري، وعملت أيضاً في تهريب السلاح والبشر بين طرفي المعبر، كما سهّلت انتقال الكثير من المدنيين والعسكر المنشقين من مناطق النظام إلى مناطق المعارضة، ضمنهم ضباط من قوات النظام، لقاء مبالغ مالية مرتفعة، وقد جمع زعيم الميليشيا أحمد درويش مبالغ طائلة من عائدات المعبر، ما مكّنه من توسيع نفوذه وتجنيد أعداد كبيرة من أبناء عشيرته والقرى المحيطة ببلدة أبو دالي[52].

---

[48] دخل أحمد درويش المبارك مجلس الشعب كعضو عام 2003 بدعم من شقيقه المقيم في بريطانيا الدكتور دهام الدرويش، إذ يرتبط دهام الدرويش بعلاقة جيدة مع فواز الأخرس والد أسماء الأسد، فقد عملا معاً في المشفى ذاته، وحافظَ على مقعده في دورتَين لكنه خسره قبيل انطلاق الثورة، للاطلاع أكثر انظر: وليد أبو الهمام، أحمد درويش من أداة إجرامية للنظام إلى شخص مجرد من الصلاحيات، حرية برس، 10 شباط/ فبراير 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I6Yt

[49] خالد الخطيب، نظام الأسد يوزّع المناصب على زعماء الميليشيات في ريف إدلب مقابل خدماتهم، نون بوست، 5 تشرين الثاني/نوفمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtPl

[50] المرسوم 169 لعام 2012، أسماء الفائزين في عضوية مجلس الشعب للعام 2012، الموقع الرسمي لمجلس الشعب السوري، 20 أيار/مايو 2012، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HdZq

[51] وليد أبو همام، "أحمد الدرويش" من أداة إجرامية للنظام إلى شخص مجرد من الصلاحيات، مرجع سبق ذكره.

[52] أمين العاصي، أمراء حرب الأسد تجار مهمات قذرة: أحمد الدرويش نموذجاً، العربي الجديد، 9 شباط/فبراير 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HdaQ

بحلول العام 2016، بدأ نفوذ الدرويش بالتراجع بعد خَسارته مقعده في مجلس الشعب، وبلغت ذروة تراجع الأهمية والنفوذ في شباط/فبراير 2019، إذ تعرّض منزله في قرية كفراع لحملة أمنية صادرت خلالها قوات النظام أحد مستودعات الأسلحة والذخيرة دون اعتقاله[53]، ليتراجع دوره وتمويله وعدد ميليشيا "فوج المبارك" الذي اقتصر لاحقاً على أعداد مقاتلين قليلة من أقارب الدرويش[54]. كما مُنع الدرويش من العودة إلى معقله السابق في قرية أبو دالي، وأُجبر على البقاء في قرية كفراع، واقتصر نشاطه على الظهور الإعلامي في الفعاليات الشعبية والرسميّة التي تقيمها محافظة إدلب[55]، وإقامة الولائم لوجهاء وشيوخ عشائر في ريف إدلب الشرقي والجنوبي الشرقي[56]، فضلاً عن **دوره في تشجيع عودة النازحين وتنظيم التسويات للمطلوبين أمنياً، والوساطة المحلية بين سكان المنطقة ومؤسسات النظام وأجهزته الأمنية**، نظراً لدوره السابق في القتال إلى جانب النظام، وتأثيره الإيجابي بين أبناء عشيرته، إذ ما يزال يحتفظ بثقة العديد من سكان المنطقة[57].

خالد الضاهر

تزامن تراجع نفوذ أحمد درويش مع تصاعد نفوذ خالد الضاهر، إذ حلّ الضاهر بديلاً للدرويش في علاقته بسهيل الحسن والمخابرات الجوية. ويعدّ خالد الضاهر أحد أهم قادة الميليشيات المُقدمين كوجهاء اجتماعيين جدد في ريف إدلب الجنوبي والشرقي. فمع بداية العام 2011 أسّسَ الضاهر **مجموعة مسلحة** للقتال إلى جانب قوات النظام في محيط مطار أبو الظهور العسكري في ريف إدلب الشرقي وخناصر في ريف حلب الجنوبي، توسّعت المجموعة في عام 2012 إلى **"لواء صقور الضاهر"**، والذي شارك في معارك مطار أبو الضهور وخناصر ومدينة حلب وريف حلب الشرقي ودير الزور وريف حماة، كما شارك خلال عامي 2018 - 2020 في معارك السيطرة على ريفي إدلب الشرقي والجنوبي[58].

ترافق نشاط الضاهر العسكري مع صعوده سُلّم السُلطة، فبعد أن كان أمين إحدى الحلقات الحزبية وعضو قيادة فرقة حزبية قبل الثورة، أصبح في عام 2012 **عضواً في المؤتمر القطري لحزب البعث**، كما نال **عضوية مجلس الشعب** عن الدور التشريعي الأول 2012 - 2016 والدور التشريعي الثاني 2016 - 2020. إضافة إلى ذلك، حصل الضاهر في عام 2016 على عضوية "مجلس اتحاد الفلاحين"[59]، ورئاسة "فرع اتحاد فلاحي إدلب"[60]، ثم عضو في المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين[61]، كما شارك في عام 2018 ضمن وفد النظام خلال "مؤتمر سوتشي"[62].

---

[53] قوات الأسد تصادر الأسلحة والذخائر لدى أحمد الدرويش، المحرر، 8 شباط/فبراير 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GqOR

[54] أمين العاصي، أمراء حرب الأسد تجار مهمات قذرة: أحمد الدرويش نموذجاً، مرجع سبق ذكره.

[55] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[56] خالد الخطيب، نظام الأسد يوزّع المناصب على زعماء الميليشيات في ريف إدلب مقابل خدماتهم، مرجع سبق ذكره.

[57] مقابلة هاتفية مع صخر العلي، رئيس المكتب السياسي بالمجلس الأعلى لقبيلة البو شعبان، وباحث مختص بشؤون القبائل والعشائر السورية، أجريت المقابلة بتاريخ 9 نيسان /أبريل 2023.

[58] المرجع السابق.

[59] المُعرّف الرسميّ لاتحاد طلبة إدلب، في جامعة حلب، موقع "فيسبوك"، 12 أيلول/ سبتمبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4PO1

[60] المُعرّف الرسميّ لاتحاد الفلاحين في محافظة إدلب، موقع "فيس بوك"،17 شباط/فبراير 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4HdX

[61] تشكيل المكتب التنفيذي لاتحاد الفلاحين... وأحمد ابراهيم رئيساً، وكالة سانا، 13 آذار/مارس 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HbDv

[62] المُعرّف الرسميّ لاتحاد طلبة إدلب في جامعة حلب، موقع "فيسبوك"، مرجع سبق ذكره.

على المستوى الاقتصادي، راكم الضاهر ثروات كبيرة عبر تقديم أعداد وهمية لعدد العناصر الملتحقين بصفوف "لواء صقور الضاهر"، إضافة إلى عمليات التهريب والترفيق، وكذلك المساهمة في تسهيل عمليات المصالحة للمطلوبين مقابل مبالغ مالية[63]. زادت هذه الثروة بعد سيطرة قوات النظام على ريف إدلب الجنوبي 2019 - 2020، بفضل مصادرة الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها للنازحين من عشرات القرى في مناطق معرة النعمان وخان شيخون بالشراكة مع "قوات النمر"، والاستيلاء على مخصصات الأسمدة والبذار والآليات وغيرها من الدعم الحكومي المقدم للقطاع الزراعي في عمليات استثمار الأراضي[64].

إضافة إلى الأدوار العسكرية والاقتصادية، برزت **أدوار إضافية للظاهر على مستوى الحشد والتعبئة** لصالح النظام في المنطقة، بدءاً من انتخابات المجالس المحلية وصولاً إلى مستوى الانتخابات الرئاسية، مستفيداً من نفوذه المالي والعسكري والمناصب التي شغلها، إذ عمل الضاهر على الترويج والحشد للأسد خلال الانتخابات الرئاسية، فقد نظّم في بداية أيار/مايو 2021 مؤتمراً لرابطة فلاحي إدلب في قرية الحسينية "تل كلبة"، حضر المؤتمر محافظ إدلب آنذاك، محمد نتوف، وأمين فرع حزب البعث في إدلب أسامة قدور فضل، وأقام في مدينة حماة "خيمة انتخابية" دعماً للأسد تحت شعار "بشار الأسد قائد تاريخي"، حضرها عدد من شيوخ العشائر.

كما نظّم الضاهر معظم فعاليات دعم انتخاب الأسد في خان شيخون وباقي القرى، وتولى جمع الأموال من شيوخ العشائر والوجهاء في المنطقة لدفع تكاليف الحملة[65]. وفي إطار **أدوار الوساطة المحلية**، تولى الضاهر عملية التواصل مع بعض أبناء العشائر في مناطق المعارضة، بهدف الترويج لعملية عودة النازحين. ووفقاً لتلك الأدوار المختلفة في خدمة النظام، تحوّل الضاهر من سائق يعمل على طريق إدلب - سراقب، إلى **"أحد وجهاء عشيرة الحليبات"/موالي**. إذ دأب إعلام النظام على تصديره كأحد الوجهاء الاجتماعيين والعشائريين في المنطقة[66]، رغم عدم انتساب عائلته لمشيخة العشيرة، ناهيك عن سمعته السيئة بين الأهالي[67].

ويعدّ خالد الضاهر اليوم، من الشخصيات الأقوى في المحافظة، والأكثر شُهرة في الأوساط الموالية ضمن مناطق سيطرة النظام في ريف إدلب[68]. ساعدت مكانته ونفوذه المتصاعد **بالتحكم والتأثير في قرارات الإدارة المحلية على مستوى المنطقة**، كالمحافظة وحزب البعث، وذلك عبر التأثير في قرارات المخابرات الجوية والتحكُّم في العديد من التعيينات مقابل رشاوى يقدمها لمدير المخابرات الجوية، اللواء غسان إسماعيل[69]. كما يمتلك الضاهر نفوذاً واسعاً داخل حزب البعث

---

[63] مقابلة هاتفية مع منهل باريش، مرجع سبق ذكره

[64] باع خالد الضاهر السماد المخصص لاتحاد فلاحي إدلب لتاجر من مدينة جبلة، كما سطا على أكثر من 200 ألف ليتر مازوت مخصصة للتوزيع. للاطلاع أكثر انظر: شبكة نور حلب، 8 تشرين الأول/أكتوبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4PO3

[65] خالد الخطيب، هلال الهلال في خان شيخون.. لماذا يركّز النظام في حملته الانتخابية على إدلب؟، تلفزيون سوريا، 25 أيار/مايو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GqS5

[66] المُعرّف الرسميّ لقناة الإخبارية السورية على موقع "يوتيوب" بعنوان اتصال هاتفي مع أحد وجهاء عشيرة الحلبيات في إدلب الشيخ خالد الضاهر، 15 شباط/فبراير 2021، متوفر على الرابط التالي: https://ytube.io/3aJT

[67] مقابلة هاتفية مع صخر العلي، رئيس المكتب السياسي للمجلس الأعلى لقبيلة البو شعبان، مرجع سبق ذكره.

[68] المرجع السابق.

[69] المُعرّف الرسميّ لشبكة أخبار نور حلب، موقع "فيس بوك"، 12 آذار/مارس 2023، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4M1g

والمنظمات التابعة له، بسبب علاقته الجيدة بالأمين القطري المساعد لحزب البعث هلال هلال، والتي تمكّن من خلالها وعبر الرشاوى أيضاً من التحكُّم في المناصب والتعيينات داخل فرع حزب البعث في إدلب، على غرار تعيين نضال صلوح رئيساً لفرع فلاحي إدلب[70]، بعد انتخاب الضاهر في المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين.

فؤاد علداني

ترافق صعود خالد الضاهر في سُلَّم السُلطة المحلية مع صعود قائد آخر من قادة الميليشيات، وهو فؤاد محمد صبحي علداني[71]. قاد علداني مجموعة "**نمور الأسد**" في الفرقة 25 قوات خاصة/"قوات النمر"، بعد انضمامه المُبكّر ومجموعته لـ"قوات النمر"، والاشتراك في جميع معاركها[72]، إذ شارك في اقتحام بعض مناطق درعا ومدن دوما وداريا وتلكلخ، وساعد في تجنيد مُخبرين للنظام السوري في عربين ودوما وبانياس وتلكلخ، وقد ارتكبت مجموعته عدداً من المجازر والانتهاكات[73].

على المستوى الاقتصادي، استغل علداني قربه من المخابرات الجوية في مراكمة ثروات كبيرة، خاصة بعد أن أشرف بشكل مباشر على معبر "وادي العزيب" بين مناطق النظام والمعارضة. كما عمل على الاستيلاء على ممتلكات كثيرة للنازحين بين حلب وإدلب، وذلك بسطوة المخابرات الجوية والعميد سهيل الحسن، وتغطية من اللواء جميل الحسن، إذ عمل علداني في تهريب الآثار لمصلحة مدير إدارة المخابرات الجوية السابق، اللواء جميل الحسن [74].

تولى علداني منصب **المدير المالي للجان المخابرات الجوية**، وتسلّم المعابر والحواجز التابعة للجوية و"قوات النمر" في درعا ودير الزور وحلب وإدلب، واستغلها في تهريب النفط، إذ يمتلك اليوم قرابة 500 شاحنة نقل محروقات، وحوالي 10 محطات وقود في حلب ومحطتين في إدلب. تقرّب علداني من خالد الضاهر واشترك الطرفان في **مصادرة محصول الفستق** الحلبي في خان شيخون ومورك، بعد طرد أصحاب المحاصيل وتهديدهم. كما استأجر أكثر من 50 ألف دونم في ريف إدلب من اتحاد الفلاحين[75]، إضافة إلى شراء أراضٍ كثيرة في المحافظة، وفي هذا السياق يُتهم علداني بسرقة العديد من الآليات الزراعية وبيعها[76]. ونظراً لتنوع مصادر الكسب غير المشروع وتوسّع نفوذه الاقتصادي والأمني، استطاع علداني في عام 2016 تأسيس "مجموعة الفؤاد الصناعية والتجارية"[77] .

---

[70] المُعرّف الرسميّ لشبكة أخبار نور حلب، موقع "فيس بوك"، 8 أيار/مايو 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4M1f

[71] من مواليد بلدة بنش بريف إدلب عام 1977، يحمل الشهادة الابتدائية، أدى خدمة العلم كمجند في مطار حماة العسكري، وعاد الى قريته وعمل في شراء الخبز اليابس وبيعه كعلف للأبقار، ثم ذهب لدمشق وعمل في أحد بيوت الدعارة التابعة لأحد مسؤولي إدلب ولقبه "فؤاد الطبل" نسبة لأسرة زوجته من منطقة أريحا. للاطلاع أكثر انظر: المُعرّف الرسميّ لشبكة نور حلب، موقع "فيس بوك"، 11 نيسان/أبريل 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4P2e

[72] مقابلة هاتفية مع منهل باريش، مرجع سبق ذكره

[73] ورد اسمه في شهادة المنشق آفاق أحمد عن مجزرة مساكن صيدا في درعا، التي حدثت في 29 نيسان 2011، والتي أدت إلى مقتل العشرات من أبناء الشعب السوري واعتقال أكثر من 100 متظاهر من ضمنهم حمزة الخطيب وثامر الشرعي اللذان قتلا على يد عناصر المخابرات الجوية في دمشق. للاطلاع أكثر انظر: أعداء الشعب السوري أعضاء في مجلس الشعب، منظمة مع العدالة، 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8T3

[74] قائد ميليشيا وعضو مجلس شعب ومهرب مازوت.. من هو فؤاد علداني الملاحق قضائياً؟، تلفزيون سوريا، 24 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HbQw

[75] المُعرّف الرسميّ لشبكة أخبار نور حلب، موقع "فيس بوك"، 11 نيسان/أبريل 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4M1q

[76] المُعرّف الرسميّ لشبكة أخبار نور حلب، موقع "فيس بوك"، 10 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4M1s

[77] أعداء الشعب السوري أعضاء في مجلس الشعب، منظمة مع العدالة، 2020، ص: 107-108، مرجع سبق ذكره.

ترشّح علداني لعضوية مجلس الشعب في عام 2020 بهدف الحصول على الحصانة، معلناً تحوله من قائد مجموعة "نمور الأسد" في "الفرقة 25"/"قوات النمر" إلى صناعي وتاجر يرأس مجلس إدارة "مجموعة الفؤاد الصناعية والتجارية"[78]، وقد تمكّن من الحصول على مقعد في المجلس[79]، وسط اتهامات بتهديد الناخبين بالمخابرات الجوية وشراء أصوات الفقراء منهم[80]. ورغم ترشحه لعضوية مجلس الشعب كمرشح مستقل، إلا أنه عضو في "حزب التطوير والتحديث"، إذ انتُخِبَ في 10 تموز/يوليو 2020 عضواً في اللجنة المركزية للحزب[81].

وعلى مستوى الإدارة المحلية، برز تأثير علداني في بعض هياكل السُلطة المحلية والأجهزة الحكومية في المنطقة، خاصة في فرع "اتحاد فلاحي إدلب"، انطلاقاً من تقديم "المساعدات" العينية والمالية، إذ "تبرّع" بـ 50 مليون ل.س لإعادة تأهيل المدارس في ريف إدلب الجنوبي، والمساعدة بإنشاء فرن آلي في منطقة خان شيخون، إضافة لتجهيز مبنى المحافظة المؤقت، كما قدّم 3 جرارات زراعية، و3 سيارات خدمة للوحدات الإدارية، إضافة إلى 15 مليون ل.س للمهجرين من أبناء إدلب المتواجدين في اللاذقية وحلب ودمشق، و10 ملايين لأبناء الفوعة وكفريا، و3 ملايين لاتحاد الفلاحين[82]. كما وزّع مستلزمات الطلاب في مدارس بعض بلدات ريف إدلب الجنوبي، ناهيك عن إقامة حفلات العشاء لمسؤولي المحافظة بشكل دوري[83]. كما أشرف علداني في 12 تشرين الأول/أكتوبر 2020 على توزيع سلل غذائية مُقدَمة من "مركز المصالحة الروسي في حميميم" بالتعاون مع الفعاليات الاقتصادية والأهلية لنازحي إدلب المقيمين في محافظة حماة[84]. ورغم أدوراه الأمنية والاقتصادية؛ إلا أن علداني لا يُقدَم كأحد وجهاء المنطقة، ولا يلعب أدور الوساطة في ملفات التسويات والنازحين والتعبئة الشعبية.

أحمد عقرين

لم يكن الدور العسكري وقيادة الميليشيات، البوابة الوحيدة للانخراط بإعادة إنتاج سُلطة النظام في المنطقة وتولي المناصب ضمن تراتبيتها، فقد شكلّت الثروة والتجارة وسيلة بعضهم للصعود في سُلّم السُلطة، وفي هذا السياق، برز أحمد جميل عقرين[85]. والذي يعد أحد وجهاء ريف إدلب الجنوبي القلائل الذين حافظوا على دورهم وصعودهم في سُلَّم السُلطة والنفوذ من خارج نطاق الميليشيات. إذ يُعدّ عقرين، **أحد أبرز التجار وأصحاب العقارات** والأراضي في ريف معرة النعمان،

---

[78] شاهد فيديو تعريفي دعائي نشره علداني على موقع "فيس بوك"، بعنوان: تعرف على المرشح المستقل فئة (ب) فؤاد علداني أبو حيدر، 14 تموز/يوليو 2020، متوفر على الرابط التالي:https://fbook.cc/4R3c

[79] النتائج الرسمية لانتخابات مجلس الشعب السوري 2020، سناك سوري، 21 تموز/يوليو 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HbRV

[80] أعداء الشعب السوري أعضاء في مجلس الشعب، منظمة مع العدالة، مرجع سبق ذكره.

[81] المُعرّف الرسميّ لحزب "التطوير والتحديث" على موقع "فيس بوك"، 25 تموز/ يوليو 2020، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4R3g

[82] المُعرّف الرسميّ لحملة "جرحك وطن" التشاركية الشعبية لدعم المرشح فؤاد علداني لعضوية مجلس الشعب"، موقع فيس بوك، 19 تشرين الثاني/نوفمبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4M2R

[83] المرجع السابق

[84] المُعرّف الرسميّ لفؤاد علداني، موقع "فيس بوك"، 12 تشرين الأول/أكتوبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4R3h

[85] تعود جذور عائلته إلى أصول أردنية، ولد في بلدة الدانا شمال معرة النعمان، ثم انتقل إلى قرية بابولين، عمل في بداية حياته عاملاً في ورشات الحجر ضمن جبال المنطقة، ثم عمل في تجارة الحبوب، وافتتح لاحقاً معملاً للمواد الغذائية، قبل أن يتحول إلى أحد أهم أصحاب رؤوس الأموال في المنطقة، يعد عقرين شريكاً مؤسساً في شركة "بيت الصادرات"، إذ يمتلك 125 حصة بقيمة 12% من أسهم الشركة، ويمتلك العديد من معامل الغذائيات في ريف معرة النعمان. معلومات تم الحصول عليها من خلال مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

خلال العقد الأول من حكم الأسد الابن، ولم يؤسس أي ميليشيا تقاتل إلى جانب قوات النظام، لكنه وفي الوقت نفسه، استغل الأرضية الاقتصادية للانطلاق إلى أدوار جديدة لا تختلف كثيراً عن تلك التي يمارسها قادة الميليشيات في المنطقة.

اشتهر عقرين بحبه للسُلطة وسعيه للحصول على مقعد في مجلس الشعب قبل عام 2011، فانضم لفرع حزب البعث في إدلب، ومكّنه وضعه الاقتصادي من تقديم الهدايا والرشاوى بهدف التقرب من مسؤولي النظام[86]، فكافأه الأخير بمنحه **مقعداً في مجلس محافظة إدلب**، بالرغم من تدني مستواه التعليمي وعدم إجادته القراءة والكتابة. منذ الأيام الأولى للانتفاضة 2011، أظهر عقرين تأييده للنظام، وبعد سيطرة المعارضة على المنطقة، توجّه إلى الأردن ثم عاد إلى دمشق. ورغم موقفه المؤيد للنظام، استمر عمل بعض معامل الغذائيات الخاصة به في ريف معرة النعمان الخاضع للمعارضة، بإدارة أحد العاملين لديه. وبعد سيطرة قوات النظام على معرة النعمان عام 2020، نقَلَ هذه المعامل إلى مدينة سلقين[87]. كما تمكّن إثر سيطرة النظام على ريف إدلب الجنوبي من توسيع نفوذه الاقتصادي، عبر زراعة مساحات واسعة من الأراضي التي يملكها في المنطقة، مستغلاً نفوذه في حمايتها[88].

حصل عقرين في عام 2020 على **عضوية مجلس الشعب** عن الدور التشريعي الثالث، ثم تولى في 6 حزيران/يونيو 2021 رئاسة "غرفة زراعة إدلب"[89]. وكجميع الوجهاء الموالين للنظام، **انخرط عقرين في عمليات التعبئة والحشد الشعبي** في المنطقة لصالح النظام، إذ شارك في تمويل الحملات الانتخابية لبشار الأسد، ونظّم خلالها العديد من اللقاءات والفعاليات[90]. كما دخل على خط **الترويج لعودة نازحي المنطقة**، إذ ساهم في تشجيع عودة النازحين، بعد أن كلّفهُ محافظ إدلب ثائر سلهب بدفع مليون ل.س لكل عائلة نازحة تصل إلى مدينة معرة النعمان[91]. كما تولى تكاليف نقل عدد من مسؤولي المحافظة وحزب البعث بين المحافظات التي يوجد فيها نازحون من إدلب، كحلب واللاذقية والسويداء ودمشق وغيرها، والتي شهدت أيضاً فعاليات احتفالية دعماً للأسد. وخلال إحدى فاعليات دعم الانتخابات الرئاسية في مدينة حماة، نُصِّبَ عقرين **"شيخاً على قبيلة النعيم"** في إدلب[92].

آخرون ونفوذ ميليشياوي طاغٍ

إضافة إلى قادة الميليشيات وبعض التجار الذين سعى النظام إلى تصديرهم كوجهاء اجتماعيين لعموم المنطقة، بعد تغطيتهم أمنياً وسياسياً وتقديم التسهيلات الاقتصادية؛ عمل النظام إثر استعادة سيطرته إلى تغيير خارطة الوجهاء

---

[86] خلال أداء بشار الأسد صلاة عيد الأضحى في مدينة إدلب عام 2008، قام عقرين بدفع مبلغ 250 ألف ليرة من أجل لقاء الأسد وأخذ صورة معه. مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[87] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[88] المرجع السابق

[89] المُعرّف الرسميّ لغرفة زراعة إدلب، موقع "فيس بوك"، 8 حزيران/يونيو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4Hdo

[90] منفذية إدلب هنأت محافظ إدلب بالفطر... وتشارك في لقاء بحماة دعما للاستحقاق الدستوري، النبأ، 18 أيار/مايو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GqRs

[91] النظام يرمم معرة النعمان..من جيوب زعماء العشائر وقادة الميليشيات، وكالة الأخبار الدولية، 31 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HdlT

[92] خالد الخطيب، هلال الهلال في خان شيخون.. لماذا يركز النظام في حملته الانتخابية على إدلب؟، مرجع سبق ذكره.

وأصحاب المناصب الإدارية على مستوى المدن والبلدات والقرى، كمنصب المختار ورئيس المجلس البلدي وعضو الفرقة الحزبية ورئاسة رابطة الفلاحين، وغيرها من المديريات والدوائر الخدمية.

وقد اعتمد في هذا التغيير على أشخاص من عناصر الميليشيات أو مقربين من قادة الميليشيات[93]، خاصة وسط الفراغ الذي تركه غياب وجهاء المنطقة الحقيقيين، إذ فضّل أغلب وجهاء معرة النعمان، السابقون والنازحون في دمشق، البقاء فيها ولم يعودوا إلى ريف إدلب الجنوبي بسبب انعدام الخدمات في المنطقة[94]. بينما فضّل أغلب وجهاء خان شيخون، النازحون في مناطق المعارضة، الاستقرار فيها[95]. وبالرغم من مواقف بعضهم المؤيدة للنظام، اختار وجهاء آخرون من خان شيخون ومعرة النعمان والتمانعة، التوجه إلى مناطق المعارضة بعد سيطرة قوات النظام على ريف إدلب الجنوبي في عام 2020[96].

بالمقابل، عاد بعض الوجهاء من مناطق سيطرة هيئة "تحرير الشام" إلى مناطق سيطرة النظام في ريف إدلب الجنوبي، على خلفية اعتقالهم من قبل هيئة "تحرير الشام" في قضية "ضفادع المصالحات"[97]، وأبرزهم **أبو علي السلطان** أحد وجهاء بلدة التح[98]، دون أن يسهم بعودة آخرين[99]. كما عاد من مدينة حماة إلى خان شيخون **أيمن اليوسف**، وهو أحد وجهاء المدينة، والذي قُتِلَ بعد تعرضه للتعذيب على يد قوات النظام في خان شيخون[100].

لم يتمكن معظم الوجهاء العائدون من استعادة مكانتهم ونفوذهم السابق، باستثناء **مخلص السرماني**، الذي يعد أحد الوجهاء الاقتصاديين لخان شيخون، إذ يتملّك عقارات وأكثر من 400 دونم من الأراضي، فقد عاد من حماة إلى خان شيخون، وظهرت صوره برفقة محافظ إدلب في العديد من الفعاليات، مستفيداً من صلة القرابة مع أحمد السرماني/"الدحل"، ومن إقامة شراكة زراعية مع أحمد درويش المبارك، إذ يقوم مخلص السرماني بزراعة مساحات واسعة من أراضي النازحين في بلدة الخوين، ويتولى أحمد درويش حمايتها[101].

تُظهرُ خريطة مكونات السُلطة المحلية في ريف إدلب الجنوبي، مدى سيطرة قادة الميليشيات واتساع نفوذهم، كحوامل أساسية لهذه السُلطة، كما تُبرِز طبيعة الأدوار المتشابهة المطلوبة منهم خلال هذه المرحلة؛ فإضافة إلى السيطرة الأمنية والعسكرية، تحوّل أغلب قادة الميليشيات بدفع من السُلطة إلى واجهات اقتصادية لإدارة أموال المنطقة والكسب غير المشروع، بالتعاون والشراكة مع ضباط الأجهزة الأمنية، خاصة المخابرات الجوية، في إدارة

---

[93] خالد الخطيب، نظام الأسد يوزّع المناصب على زعماء الميليشيات في ريف إدلب مقابل خدماتهم، مرجع سبق ذكره.

[94] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، ناشط صحفي من مدينة معرة النعمان، أجريت المقابلة بتاريخ 3 آذار/مارس 2023.

[95] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[96] معلومات تمت مقاطعتها من خلال 15مقابلة أجريت بين 4 شباط/فبراير و9 نيسان/أبريل 2023. إذ أوردت المقابلات العديد من الأمثلة عن وجهاء اجتماعيين غادروا المنطقة إلى مناطق النظام أو إلى مناطق المعارضة.

[97] أطلقت فصائل المعارضة وهيئة تحرير الشام في آب/أغسطس 2018، حملة أمنية استهدف مروجي المصالحات "ضفادع المصالحات" المرتبطين بالنظام في ريف إدلب، للاطلاع أكثر انظر: أين وصلت حملة القضاء على "ضفادع المصالحات" في إدلب؟، أورينت، 15 آب/أغسطس 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/l7l1. انظر أيضاً: "تحرير الشام" تعتقل أشخاصاً بريف إدلب بتهم "التعامل مع النظام"، عنب بلدي، 28 تموز/يوليو 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/l7l7.

[98] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي، يعمل على رصد أحداث المنطقة، أجريت المقابلة بتاريخ 12 آذار/مارس 2023.

[99] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[100] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[101] المرجع السابق

واستثمار أراضي المهجّرين وملكياتهم العقارية، إضافة إلى تغطيتهم سياسياً بعد حصول أغلبهم على عضوية مجلس الشعب، ثم الدفع بهم إلى الواجهة الاجتماعية كـ"وجهاء محليين"، وتعزيزهم بالمناصب الإدارية والحزبية والتسهيلات الاقتصادية، ومن ثم توظيفهم في عمليات التعبئة والحشد لصالح النظام، إضافة إلى أدوار الوساطة المحلية في ملفات "التسوية" وعودة النازحين.

ووفقاً لتلك الأدوار المتعددة والمتداخلة، يتفوّق نفوذ الميليشيات وسُلطة قادتها على جميع مكونات السُلطة المحلية وحواملها، سواء بواسطة "اللجنة الأمنية العسكرية" أو عبر تقاسم المناطق والبلدات إلى مجالات نفوذ خاضعة للميليشيات المتعددة، إضافة إلى تمكّن قادة الميليشيات من الصعود في سُلَّم قيادة فرع حزب البعث والمنظمات والاتحادات التابعة له، والذي حاز بدوره على معظم مقاعد مجالس الإدارة المحلية، إلى جانب سطوتهم ضمن باقي هياكل الإدارة المحلية، بدءاً من المجالس البلدية وصولاً إلى المحافظة. ويتضح هذا النفوذ أكثر بالمقارنة بين أدوار قادة الميليشيات وغيرهم من مسؤولي الإدارة المحلية ضمن المحافظة، إذ تُظهِر المقارنة، بين موقع ونفوذ قائد ميليشيا "صقور الضاهر" خالد الضاهر، وبين محافظ إدلب ثائر سلهب، في خمس مستويات من السُلطة، تفوقاً واضحاً لقائد الميليشيا على المحافظ في معظم مستويات السُلطة التالية:

- **المستوى الأمني والعسكري**: يرتبط خالد الضاهر بعلاقة مباشرة مع مدير المخابرات الجوية، اللواء غسان إسماعيل، استطاع من خلالها التأثير والتحكم في العديد من القرارات والتعيينات ضمن محافظة إدلب، كما يقود الضاهر ميليشيا مسلحة "لواء صقور الضاهر". في حين يعد محافظ إدلب ثائر سلهب عضواً في "اللجنة الأمنية العسكرية" لمحافظة إدلب، التي يقودها اللواء منذر إبراهيم، ولا يتمتع بالصلاحيات اللازمة لإحداث تغييرات جدية، خاصة في المناطق التي ما تزال مُصنّفة على أنها عسكرية، بل ويحتاج إلى موافقة أمنية لكي يجري جولاته في تلك المناطق الواقعة تحت سيطرة النظام(102).
- **المستوى الحزبي**: يشغل خالد الضاهر مقعداً في "المؤتمر القطري العام لحزب البعث"، ويرتبط بعلاقة مباشرة مع الأمين القطري المساعد لحزب البعث هلال هلال، تمكّن عبرها من التأثير والتحكم بالتعيينات داخل فرع حزب البعث في إدلب. إضافة لكونه عضواً في "المكتب التنفيذي للاتحاد العام للفلاحين"، شغل الضاهر منصب رئيس فرع "اتحاد فلاحي إدلب"، والذي تمكّن عبره من تحقيق ثروات طائلة، من خلال تحكُّمه في تحديد أراضي النازحين الخاضعة للاستثمار، والاستيلاء على مخصصات الأسمدة والبذار والآليات وغيرها من الدعم الحكومي المُقدّم للقطاع الزراعي، والانخراط بشكل مباشر في استثمار أراضي النازحين. وعلى النقيض من ذلك، لا يشغل المحافظ ثائر سلهب مواقع مهمة في حزب البعث أو المنظمات التابعة له.
- **مستوى الإدارة المحلية**: يشرف محافظ إدلب، ثائر سلهب، على عمل المجالس المحلية في المحافظة، ويمثّل إجرائياً حلقة الوصل مع الوزارات والسُلطة المركزية. في حين يؤثر خالد الضاهر بشكل مباشر على قرارات التعيينات داخل المؤسسات الحكومية وهياكل السُلطة المحلية.

(102) محافظ جديد لإدلب بعد صراع "قطيع" و"نتوف"... هل سيغير "سلهب" واقع الحال؟، تلفزيون سوريا، مرجع سبق ذكره.

- **المستوى السياسي**: مع أن محافظ إدلب يُمثّل السُلطة المركزية في المحافظة، فإنه صاحب المنصب السياسي الثاني في المحافظة بعد اللواء منذر إبراهيم رئيس "اللجنة الأمنية والعسكرية"، التي تعد أعلى سلطة سياسية وأمنية وعسكرية في المحافظة. بالمقابل كان خالد الضاهر أحد أعضاء وفد النظام إلى مؤتمر "سوتشي".
- **المستوى الاجتماعي**: يُقدَّم خالد الضاهر اليوم، كـ"أحد وجهاء عشيرة الحليبات"/موالي، وقد ساعده موقعه الاجتماعي في تنظيم حملات وفعاليات الدعم خلال الانتخابات الرئاسية، وجمع الأموال من شيوخ العشائر لدفع تكاليف الحملات الانتخابية، إضافة إلى التواصل مع أبناء العشائر بهدف الترويج لعودة النازحين. وعلى النقيض من ذلك، لا يمتلك ثائر سلهب أي تأثير على البيئة الاجتماعية للمحافظة.

ثانياً: "ميكانيزمات" السُلطة المحلية

بعد استعراض خارطة السُلطة المحلية و أبرز حواملها، لابد من دراسة آليات تفاعلها في تسييروإدارة شؤون المنطقة، وطريقة توزيع الأدوار داخلها، وتأثيرها على السكان المقيمين وعلى عودة النازحين، وذلك من خلال الوقوف على مؤشرات عدة: مستوى الخدمات المُقدَمة، آلية إدارة اقتصاد المنطقة، تحقيق الحشد والتعبئة الشعبية للسكان، عبر إظهار مشاركتهم في الانتخابات والفعاليات والاحتفالات التي تنظّمها السُلطة المحلية، بهدف إظهار مدى "التأييد الشعبي للنظام"، بوصفها آليات عمل يعتمد عليها النظام في بناء سُلطته المحلية.

1. مستوى الخدمات

يعمل النظام بالآليات القديمة ذاتها على مستوى الإدارة المحلية، والتي تعتمد على تركيز الخدمات في مدن ومراكز محددة على حساب الأطراف، إذ تتركّز الخدمات بعد سيطرة النظام على المنطقة، في مدينة خان شيخون وبلدتي التمانعة والتح، وتكاد تنعدم في باقي المدن والبلدات والقرى. فقد شهدت **مدينة خان شيخون** إصلاح جزء من شبكة التيار الكهربائي، دون تمديد خطوط كهرباء في كامل المدينة، إذ تركّزت جهود مؤسسات النظام في أماكن وجود مقرّات المؤسسات الحكومية والقوات الروسية ضمن القسم الشرقي من المدينة، في حين يعتمد السكان في معظم الأحياء على ألواح الطاقة الشمسية غالية الثمن. بالمقابل، لا توجد في المدينة شبكة مياه فعّالة، إذ تعتمد مؤسسات النظام والميليشيات والسكان المدنيون على إيصال المياه عبر الصهاريج الكبيرة[103].

وقد نفّذَت مديرية الخدمات الفنية في مجلس مدينة خان شيخون، عملية إصلاح وتعبيد بعض المداخل الرئيسة والفرعية للمدينة[104]، ولم تتجاوز مسافة الطرقات التي جرى إصلاحها أكثر من 100 متر، إذ اختار مجلس مدينة خان شيخون بعض مداخل المدينة فقط وأوصل إليها شبكة التيار الكهربائي، وطلى رصيفاً واحداً لأحدها، بقصد التصوير فقط. كما أُصلحت اللوحة الحجرية في مدخل المدينة الرئيسي[105]. إضافة لذلك، افتَتَحت المؤسسة الاجتماعية العسكرية في 23

[103] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[104] إعادة تأهيل طرق في خان شيخون بريف إدلب، وزارة الإعلام، الجمهورية العربية السورية، 13 حزيران يونيو 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gt8S

[105] أسامة الشهاب، تمثيل خان شيخون والتمثيل على أنقاضها، عين المدينة، 18 أيلول/ سبتمبر 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gt8e

تشرين الثاني/نوفمبر 2022، فرعاً لها في المدينة بهدف تأمين مواد غذائية ومنظفات ومستلزمات قرطاسية للمدارس وأدوات منزلية[106]. كما أعيد ترميم ثلاث مدارس، بينها واحدة ثانوية، من أصل 15 مدرسة موجودة في المدينة، في حين يوجد فرن آلي واحد يبيع الخبز عبر "البطاقة الذكية"[107]. أما على المستوى الصحي، فيوجد في المدينة مركز صحي واحد، تقتصر الخدمة فيه على ممرض وحيد يقدم إسعافات أوليّة بسيطة[108].

أما **بلدة التح**، فقد شهدت تجهيز شبكة التيار الكهربائي، وتوفّرت فيها الكهرباء بشكل شبه دائم، بهدف الترويج لعودة النازحين. لكن، لم تمضِ بضعة أشهر حتى توقفت الشبكة عن العمل، فلجأ السكان إلى مولدات "الديزل" ثم ألواح الطاقة الشمسية باهظة الثمن، بسبب أزمة المحروقات التي تعيشها مناطق النظام[109]. وقد نفَّذَت "مديرية الخدمات الفنية" عملية إصلاح وترميم بعض شوارع البلدة وتنظيم حملات تشجير، بهدف التصوير والترويج الإعلامي لعودة النازحين، ولكنها لم تتجاوز عشرات الأمتار. كما يغطي البلدة برج واحد للاتصالات[110]. بالمقابل، يضطر الأهالي إلى شراء الخبز عبر معتمَدين تحددهم البلدية، من مدينة خان شيخون أو مدينة صوران[111]. وعلى مستوى التعليم، يوجد اليوم مدرسة واحدة للتعليم الابتدائي، من أصل 7 مدارس كانت موجودة قبل التهجير[112]. وفي **بلدة التمانعة**، يوجد خط كهرباء واحد بعد تركيب محوّل في البلدة، في حين يعتمد السكان على الطاقة الشمسية لتشغيل آبار المياه الزراعية[113]. وعلى مستوى التعليم، فقد تم ترميم مدرسة واحدة من أصل خمس مدارس في البلدة[114].

بالمقابل، تعاني معظم المدن والبلدات والقرى الأخرى من غياب تام للخدمات، فرغم ادعاء الإعلام الحكومي إصلاح شبكة التيار الكهربائي ووجود مدرسة واحدة، ما تزال **مدينة معرة النعمان** تعاني من غياب أي نوع من الخدمات، إذ يقتصر عمل المجلس المحلي للمدينة على محاولة إزالة الأنقاض وتشجير بعض الأمتار من الشوارع بهدف الترويج لعودة النازحين[115]. أما في **قرية تحتايا**، فيوجد مدرسة واحدة، ولا يوجد تيار كهرباء ولا شبكة مياه، ويعتمد السكان على الطاقة

---

[106] عبد الله الشيخ، افتتاح فرع للمؤسسة الاجتماعية العسكرية في خان شيخون بريف إدلب المحرر، وكالة سانا، 23 تشرين الثاني/نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtOu

[107] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[108] معتز شمطة، عائدون إلى خان شيخون بريف إدلب: لا شيء يبشر بالخير هنا، نورث برس، 20 كانون الأول/ديسمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtOg

[109] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[110] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[111] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لمدينة معرة النعمان، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[112] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[113] بحسب أحد مسؤولي المجلس المحلي في بلدة التمانعة، بلغت تكلفة بئر يستخرج 4 إنش حوالي 70 ألف دولار، في حين تبلغ تكلفة بئر يستخرج 3 إنش حوالي 40 ألف دولار، وبئر يستخرج 2 انش حوالي 15 ألف دولار.

[114] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[115] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

الشمسية باهظة الثمن[116]. وفي قرية **دير شرقي**، نفَّذَت بلدية خان شيخون حملة تطوعية بهدف إزالة الأنقاض من بعض الشوارع[117]، كما تم ترميم مدرسة واحدة[118].

تحاول المؤسسات والأجهزة الحكومية الترويج لوجود خدمات في المنطقة، فقد صرّح مدير الخدمات الفنية في إدلب المهندس عزت خليل، أن "المشاريع الخدمية التي يجري تنفيذها في ريف إدلب الجنوبي تتجاوز قيمتها 3 مليارات ل. س، تتصدرها الأعمال الطرقية والأبنية المدرسية"[119]. ولكن في الواقع، فإن **أغلب هذه المشاريع لم تنجز عن طريق المجالس البلدية في المنطقة، إذ تولّت "اليونيسيف" ترميم معظم المدارس** في خان شيخون والقرى المجاورة[120]، ومنها مدرسة عدنان المالكي في خان شيخون[121].

كما يتولى قادة الميليشيات والوجهاء، في كثير من الحالات، عمليات تأمين خدمات محدودة، كإنشاء فؤاد علداني فرناً آلياً في مدينة خان شيخون[122]. في حين قامت شخصيات عشائرية نافذة ومقرّبة من "شيخ عشيرة بني عز" أحمد درويش المبارك، بتنفيذ مشاريع ريّ تعتمد على الطاقة الشمسية، لإرواء مئات الهكتارات من الأراضي الزراعية التي تعود ملكيتها لمهجّرين غادروا المنطقة[123]. ومن المقرر أن يقوم الدرويش بترميم جزء من مباني المؤسسات الحكومية، ومنها مبنى المجلس البلدي في مدينة معرة النعمان[124]. كما تتولى الميليشيات عملية احتكار وبيع الخبز للسكان في المنطقة[125]. في حين تسهم بعض الفعاليات الأهلية في تقديم معظم الخدمات البدائية، على غرار الحملة الأهلية لإزالة الأنقاض في دير شرقي[126].

عموماً، ومن خلال الاستعراض السابق لطبيعة الخدمات المقدمة في المنطقة، يتضح أن الإدارات المحلية لا تقوم بتقديم خدمات تُذكر في المنطقة، إنما يعتمد أهالي المنطقة على الجهود الفردية والشعبية في تأمين خدمات بدائية لا توفر أدنى مقومات الحياة الأساسية، كما يتولى قادة الميليشيات والوجهاء وأصحاب رؤوس الأموال المرتبطون بالميليشيات، تجهيز بعض المباني الحكومية بهدف محاباة النظام، وتحقيق مصالحهم في استغلال زراعة الأراضي، وتأمين خدمات محدودة للسكان بهدف تشجيع الانتساب لهذه الميليشيات والترويج لها.

---

[116] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[117] عبد الله الشيخ، يوم عمل تطوعي خدمي في بلدة دير الشرقي بريف إدلب المحرر، وكالة سانا، 14 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtPH

[118] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[119] عبد الله الشيخ، مشروعات خدمية في ريف إدلب الجنوبي بقيمة ثلاثة مليارات ليرة، وكالة سانا، 25 تموز/يوليو 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtOt

[120] مقابلة هاتفية مع أحمد عنكير، ناشط من بلدة الهبيط، أجريت المقابلة بتاريخ 6 آذار/مارس 2023.

[121] المُعرّف الرسميّ لوزارة التربية السورية، موقع "فيس بوك"، 4 تموز/يوليو 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4MLZ

[122] المُعرّف الرسميّ لحملة "جرحك وطن" التشاركية الشعبية، لدعم المرشح فؤاد علداني لعضوية مجلس الشعب"، مرجع سبق ذكره.

[123] خالد الخطيب، نظام الأسد يوزّع المناصب على زعماء الميليشيات في ريف إدلب مقابل خدماتهم، مرجع سبق ذكره.

[124] النظام يرمم معرة النعمان...من جيوب زعماء العشائر وقادة الميليشيات، مرجع سبق ذكره.

[125] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[126] عبد الله الشيخ، يوم عمل تطوعي خدمي في بلدة دير الشرقي بريف إدلب المحرر، مرجع سبق ذكره.

2. مستوى التعبئة والحشد

لطالما استخدم النظام السوري عمليات الحشد والتعبئة لإظهار مدى التأييد الشعبي للسُلطة الحاكمة وتأكيد فرض السيادة. ومع استعادة سُلطته في المنطقة، لجأ النظام إلى الأساليب والأدوات التقليدية للتعبئة والحشد، عبر فرض المسيرات الشعبية والفعاليات التأييدية على سكان المناطق المستعادة حديثاً، معتمداً على حزب البعث والمنظمات التابعة له، وقادة الميليشيات والوجهاء في قيادة تلك العملية ضمن ريف إدلب الجنوبي. وذلك بهدف إظهار التأييد الشعبي في المنطقة، و"مدى رغبة النازحين بالعودة إليها"، مقابل تأكيد قدرته على فرض الاستقرار وخلق بيئة "آمنة مستقرة".

بعد سيطرة قوات النظام على مدينة خان شيخون عام 2019، طالب أمين حزب البعث في المدينة بالتحضير لمسيرة مؤيدة للنظام، عبر إجبار أهالي المدينة النازحين في حماة على الخروج ضمنها، فقد انتشر تسجيل صوتي على مواقع التواصل الاجتماعي لأمين شُعبة حزب البعث في خان شيخون حسين حاج علي، طالب خلاله كل عضو في شُعبة الحزب بتسجيل قائمة أسماء تضم عائلات مهجري مدينة خان شيخون، حصراً المتواجدين في مدينة حماة، لإخراجهم في المسيرة، وأن يكون بينهم نساء وأطفال، إضافة لمطالبته كل عضو في الشُعبة بتحديد نقطة تجمُّع لهذه العائلات لنقلها عبر الحافلات إلى مدينة خان شيخون، على أن يحملوا حقائب وحاجيات تبيّن أنهم عائدون إلى المدينة بعد سيطرة النظام عليها[127].

وخلال الحملة "الانتخابية" لبشار الأسد في عام 2021، أقام فرع حزب البعث "خيمة وطن" في مدينة خان شيخون. وقد نسّق خالد الضاهر خلال رئاسته فرع "اتحاد فلاحي إدلب" معظم فعاليات دعم انتخاب الأسد في خان شيخون وباقي القرى، إذ أقام "اتحاد الفلاحين" خيمة لدعم الانتخابات في قريتي الحمدانية والحسينية قرب بلدة التمانعة، بينما نَقَلَت "كتائب البعث" و"قوات النمر" عدداً كبيراً من أهالي القرى والبلدات المأهولة نسبياً شرق سكة الحديد، في منطقتي أبو الظهور وسنجار شرق وجنوب شرق إدلب، للمشاركة في الفعاليات ضمن خان شيخون، والتي تضمنت أيضاً مؤتمراً سنوياً رمزياً لـ"الرابطة الفلاحية" في منطقتي جسر الشغور وأريحا.

تولى خالد الضاهر أيضاً جمع الأموال من شيوخ العشائر والوجهاء في المنطقة لدفع تكاليف الحملة الانتخابية، التي تضمّنت فعاليات احتفالية وتعليق صور الأسد، وساهم الضاهر أيضاً بتنظيم مؤتمر "رابطة فلاحي إدلب" في قرية الحسينية تل كلبة. وأقام كذلك خيمة انتخابية في مدينة حماة، حضرها عدد من شيوخ العشائر الموالية للنظام في ريف إدلب[128]. ولم يقتصر تنظيم وتمويل تلك الحملات في المنطقة على خالد الضاهر، فقد ساهم فيها عدد من "الوجهاء" وعناصر الميليشيات، إذ تولى مصطفى العرنوس رئاسة المركز الانتخابي في التح، بينما ساهم سليمان العرنوس ونداء الغجر ويحيى الرشيد في الحشد لعملية "المشاركة الشعبية" في الانتخابات[129].

---

[127] مسرحية للنظام في خان شيخون تجبر المدنيين على الخروج في مسيرات مؤيدة، راديو روزنة، 15 أيلول/سبتمبر 2019، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gt8M

[128] خالد الخطيب، هلال الهلال في خان شيخون.. لماذا يركز النظام في حملته الانتخابية على إدلب؟، مرجع سبق ذكره.

[129] أبناء ريف إدلب المحرر: نشارك في الانتخابات لكي ينعم بلدنا بالأمن والاستقرار، وكالة سانا، 26 أيار/مايو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GqOj

وفي الإطار ذاته، نشطت الجمعيات والمديريات في المنطقة، إضافة للاتحادات والمنظمات التابعة لحزب البعث، فقد أقامت "جمعية تنظيم الأسرة"/فرع إدلب بالتعاون مع "مديرية الشؤون الاجتماعية والعمل" في المحافظة، و"اتحاد الشبيبة" في كانون الأول 2022، سباقاً في منطقة خان شيخون بمناسبة اليوم العالمي للأشخاص ذوي الإعاقة، والذي استُثمِرَ للتأكيد على قيادة الأسد للمرحلة والترويج لعودة الأمان للمدينة [130]. كما أقامت منظمة "طلائع البعث" في 29 تشرين الثاني 2022، حفل تنسيب أعضاء جدد من طلاب الصف الأول الابتدائي ضمن مدرسة "فاروق الكنج" في خان شيخون[131]. ونظّمَت أيضاً حفلات داعمة للأسد في ذكرى "الحركة التصحيحية"[132]، ووضعت المنظمة كذلك خطة للعديد من النشاطات خلال عام 2023، تُعرف بمسابقات الرواد، وتتضمن نشاطات ثقافية[133].

3. اقتصاد الميليشيات

تنوّعت مصادر تمويل الميليشيات في ريف إدلب الجنوبي، ونظراً لطبيعة اقتصاد المنطقة القائم على الزراعة، اعتمد قادة الميليشيات بشكل أساسي على مصادرة الأراضي الزراعية للنازحين واستثمارها، مقابل تنظيم "تعفيش" وهدم منازلهم بهدف استخراج حديد التسليح، إضافة إلى التهريب والترفيق وإدارة المعابر وغيرها، والتي يمكن استعراض أبرزها وفقاً لما يلي:

أ. "التعفيش" وحديد التسليح

خلال السيطرة على ريف إدلب الجنوبي، نفّذت قوات النظام والميليشيات المرافقة لها عمليات سرقة/"تعفيش" مُنظّمة، شملت جميع منازل المدنيين والمباني الحكومية في خان شيخون ومعرة النعمان وجميع بلدات وقرى المنطقة، ولم يشفع لعناصر الميليشيات قتالهم في صفوفها، فقد شمل "التعفيش" منازل بعض عناصر الميليشيات وبعض أعضاء حزب البعث في المنطقة[134].

وبعد فرض السيطرة العسكرية على المنطقة بشكل كامل في بداية آذار/مارس 2020، بدأت عمليات "التعفيش" تأخذ شكلاً ممنهجاً، إذ قُسِّمت أحياء المدن والبلدات والقرى بين الميليشيات، فحصلت بموجبها "قوات النمر" والمخابرات الجوية على حصة الأسد من الأحياء والبلدات، فكانت معظم أحياء معرة النعمان[135]، وخان شيخون من نصيب قوات "الطراميح" و"الطه" و"السباهي"[136]. كما تولى قادة ميليشيات مرتبطون بـ"قوات النمر" والمخابرات الجوية "تعفيش" معظم البلدات والقرى، منها التح وتحتايا[137]. بالمقابل، حصلت الفرقة الرابعة على أجزاء أخرى من معرة النعمان وخان

---

[130] تنظيم سباق في خان شيخون بريف إدلب المحرر بمناسبة اليوم العالمي للأشخاص ذوي الإعاقة، وكالة سانا، 8 كانون الأول/ديسمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtP5

[131] المُعرّف الرسمي لمنظمة طلائع البعث في إدلب، موقع "فيس بوك"، 29 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4HXO

[132] المُعرّف الرسمي لمنظمة طلائع البعث في إدلب، موقع "فيس بوك"،16 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4HXP

[133] المُعرّف الرسمي لمنظمة طلائع البعث في إدلب، موقع "فيس بوك"، 17 تشرين الثاني/نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4HXQ

[134] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[135] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لمدينة معرة النعمان، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[136] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[137] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لبلدة حيش، رفض الكشف عن اسمه لأسباب أمنية، أجريت المقابلة بتاريخ 5 نيسان/أبريل 2023.

شيخون، تولى فيها العميد فراس العلي، القطاع الشمالي "للتعفيش"[138]. بينما كانت بلدة التمانعة والقرى المحيطة بها من نصيب "حزب الله" اللبناني والميليشيات الإيرانية[139].

خلال الفترة الممتدة من آذار/مارس حتى تشرين الأول/أكتوبر 2020، بدأت عمليات "التعفيش" تأخذ طابعاً أكثر تنظيماً، خاصة بعد ظهور متعهدين وشبكات مرتبطة بالميليشيات مسؤولة عن السرقة والنقل والبيع، إذ قام ضباط النظام وقادة الميليشيات خلال تلك الفترة بإبرام ما يشبه عقود "تعفيش" مع "متعهدين" محددين، يُمنح بموجبها بعض المتعهدين المرتبطين بقادة الميليشيات حرية السرقة في المنطقة التي يشملها العقد. فعلى سبيل المثال لا الحصر؛ مَنَحَ ضابط في "الفرقة 25"/ "قوات النمر" عقد "تعفيش" الحي الشرقي من مدينة معرة النعمان لمتعهد من بلدة سنجار[140]، كما حصل تجار ومتعهدون من عائلة الطرماح [141] ومن بلدة قمحانة على عقد "تعفيش" قريتي تحتايا والتح[142].

وتختلف عمليات "التعفيش" والعقود المرتبطة بها بحسب المنطقة، **ففي المدن**، بدت العملية أكثر تخصصاً، فقد يحصل المتعهد على عقد "تعفيش" يشمل الأجهزة الكهربائية في الحي، بينما يحصل متعهد آخر على عقد أثاث المنزل، وثالث على الخزانات، ورابع على رخام و"سيراميك" المطابخ، وخامس على حديد التسليح. ففي مدينة خان شيخون مثلاً، حصل أحد المتعهدين على عقد "تعفيش" سخانات المياه فقط مقابل 100 مليون ل.س [143]. كما مَنَحَت المخابرات الجوية، خلال الفترة الممتدة منذ منتصف آذار/مارس حتى نهاية تشرين الأول/ أكتوبر2020، عقد استخراج حديد جميع منازل بلدة كفرومة لمتعهد من محافظة اللاذقية، يُرجّح أنه من عائلة الأسد[144]، وحاز خلال الفترة ذاتها متعهد من عائلة السباهي يرتبط بميليشيا "النبهان"[145]، على عقد استخراج حديد المنازل في مدينة خان شيخون[146].

أما في البلدات والقرى، فمعظم عقود "التعفيش" تكون شاملة لجميع موجودات البلدة[147]، وقد تُنفَّذ العملية على مراحل عدة، تشمل المرحلة الأولى الأجهزة الكهربائية والأثاث والآليات والأدوات الزراعية، والمرحلة الثانية الخزانات وأسلاك الكهرباء والأبواب والنوافذ، والمرحلة الثالثة أرضية المنزل، والمرحلة الأخيرة هدم المنزل واستخراج حديد التسليح[148]. وترتبط المدة الزمنية لكل مرحلة بمدى شمولية عقد "التعفيش" ومستوى الأثاث والأبنية، فتتم ضمن

[138] حسان كنجو، منشقون يكشفون أسماء أبرز أذرع ماهر الأسد المالية في السرقة والتعفيش، أورينت، 15 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsKn

[139] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[140] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[141] ارتبطت عائلة الطرماح بقوات النمر والمخابرات الجوية، فقد أسس النقيب في المخابرات الجوية وائل الصالح الإبراهيم الطرماح، المنحدر من قمحانة ميليشيا "فوج الطرماح"، وبعد مقتله في عام 2015 تولى حيدر النعسان قيادة الفوج.

[142] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[143] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[144] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[145] إحدى المجموعات التابعة لـ "قوات النمر" قادها العميد المتقاعد نهان السباهي، ثم ابنه: عضو مجلس الشعب عصام نهان السباهي. للاطلاع أكثر انظر: راشد محمد علي، قمحانة... البلدة التائهة، عين المدينة، 4 نيسان /أبريل 2017، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8Vi

[146] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[147] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لبلدة حيش، رفض الكشف عن اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[148] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

البلدات والقرى بمدة زمنية أقصر. ففي بلدة التح مثلاً، استمرت المرحلة الأولى والثانية شهرين، وشملت الأبواب والنوافذ المعدنية ونزع رخام وسيراميك المنازل، بينما استمرت مرحلة هدم المنازل واستخراج حديد التسليح أربعة أشهر[149].

وتعد مرحلة هدم المنازل للحصول على حديد التسليح، **أهم هذه المراحل وأكثرها تأثيراً**، لارتباطها بوجود البلدة والقرية وبمدى توفر شروط عودة النازحين. وتختلف نسبة عدد المنازل التي تعرضت للهدم بهدف استخراج حديد التسليح من بلدة لأخرى، إذ ترتبط هذه النسبة بمتغيرات عدة، أبرزها: مدى القرب من خطوط القتال، عدد أبناء البلدة المنتمين للميليشيات، شهرة البلدة في المواقف الثورية المعارضة للنظام، كيفية تعاطي أبناء المنطقة المنتمين للميليشيات خلال عمليات الهدم، نوع المحاصيل الزراعية للمنطقة، مدى توفر مصدر مالي بديل، ومدى سهولة استخراج الحديد من المبنى نفسه.

وترتفع نسبة المنازل المُدمّرة بهدف استخراج حديد التسليح في البلدات **القريبة من خطوط القتال** الواقعة شمال غرب ريف إدلب الجنوبي، بينما تنخفض في المدن والبلدات البعيدة عن خطوط القتال، ومنها بلدات الجنوب الشرقي من المنطقة، فتصل هذه النسبة إلى 80% في كفرنبل، و90% في كفرومة[150]، في حين تنخفض إلى ما دون 50% في خان شيخون[151]، وتكاد تختفي في التمانعة[152]. وترتفع نسبة هدم المنازل **في البلدات التي شهدت حراكاً ثورياً زاخماً ضد النظام**، إذ ارتفعت هذه النسبة في جرجناز إلى 90%، رغم بعدها النسبي عن خطوط القتال الحالية. وكذلك ترتفع النسبة **في البلدات التي لم يلتحق أبناؤها بشكل كبير في ميليشيات النظام**، مثل تلمنس التي وصلت فيها نسبة الهدم إلى 90%. وقد يلعب **أبناء البلدة من قادة الصف الثاني في الميليشيات** دوراً في انخفاض نسبة الهدم، ففي بلدة التح وقرية تحتايا مثلاً، أدى اعتراض نداء غجر وأحمد الحسن/"حميدو" على عمليات الهدم، وهم من قادة الصف الثاني في الميليشيات، إلى تراجع نسبة الهدم واقتصارها على منازل المنتمين لفصائل المعارضة، علماً أن عناصر الميليشيات من غير القادة لا يلعبون دوراً مماثلاً.

كذلك، يسهم **توفر بديل مالي أقل تكلفة** في تغير نسبة الهدم، ففي معرة النعمان وصلت نسبة المنازل المهدمة إلى 70%، إذ تعتمد الميليشيات على الترفيق والتهريب بشكل أكبر من الهدم. إضافة إلى طبيعة الأبنية في المدينة وصعوبة استخراج الحديد من بعضها[153]. لكن بالمقابل، قد تعود وترتفع تلك النسبة بسبب عدم انتظام عمليات الترفيق والتهريب، خاصة مع عدم انتظام عمل معبر سراقب الواصل بين مناطق النظام المعارضة. كما لعب **نوع محاصيل أراضي البلدة** دوراً في تحديد النسبة، إذ تجد الميليشيات في محصول الفستق الحلبي بديلاً أقل تكلفة من عمليات الهدم، وهو ما يُفسّر انخفاض نسبة المنازل المهدمة في خان شيخون والتمانعة[154]، حيث تنتشر زراعة الفستق، مقابل ارتفاع النسبة في معصران إلى

[149] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[150] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، أجريت المقابلة بتاريخ 5 نيسان /أبريل 2023.

[151] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[152] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[153] تتركز عمليات الهدم على أسقف منازل الطوب كثيفة حديد التسليح في الأسقف "البلاطة"، إذ يعد حرق إطار سيارة داخل المنزل كفيلاً بسقوط البناء وظهور الحديد، في المقابل تعد عملية استخراج الحديد من المنازل التي تعتمد الخرسانة المسلحة و"الهوردي" أمراً بالغ الصعوبة والتعقيد والتكلفة.

[154] حوالي 90% من منازل التمانعة تعرضت للهدم بفعل المعارك السابقة، ولكن الميليشيات لم تستخرج حديد التسليح منها، وركّزت جهودها على مصادرة محاصيل الفستق الحلبي، معلومات تم الحصول عليها من خلال مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

90% حيث تنتشر زراعة الزيتون[155]. وتجدر الإشارة إلى تعرّض الكثير من منازل عناصر الميليشيات للهدم من قبل ميليشيات أخرى[156].

جدول 2: يوضّح نسبة المنازل المهدمة إلى إجمالي منازل المنطقة، وسبب اختلاف نسبة الهدم[157].

المنطقة (مدينة، بلدة، قرية)	مستوى تدمير المنازل	سبب الهدم	سبب اختلاف نسب الهدم
كفرنبل	%80	استخراج الحديد	قريبة من خطوط القتال، إضافة إلى شُهرة مواقفها الثورية المعارضة.
كفرومة	%90	استخراج الحديد	قريبة من خطوط القتال ومعظم المنازل من الطوب.
معرة النعمان	%70	استخراج الحديد	قريبة من خطوط القتال.
تلمنس	%90	استخراج الحديد	انخفاض عدد أبناء البلدة المنضمين لصفوف الميليشيات.
جرجناز	%90	استخراج الحديد	شُهرة مواقفها الثورية المعارضة.
معصران	%90	استخراج الحديد	قريبة من خطوط القتال وتعتمد على زراعة الزيتون وأراضي السليخ.
ديرشرقي	%90	استخراج الحديد	تعتمد على الزيتون وأراضي السليخ.
التح	%30	استخراج الحديد	دور أبناء البلدة في صفوف الميليشيات.
تحتايا	%30	استخراج الحديد	دور أبناء البلدة في صفوف الميليشيات.
خان شيخون	%30	استخراج الحديد	بعيدة عن خطوط القتال الحالية.
التمانعة	%80	هدم بفعل المعارك	لم تشهد عمليات استخراج حديد التسليح.
الهبيط	%80	هدم بفعل المعارك	بعيدة عن خطوط القتال الحالية
الخوين	%70	هدم بفعل المعارك	لم تشهد استخراج حديد التسليح، فمعظم أهالي القرية من أقرباء قائد ميليشيا "فوج المبارك" أحمد الدرويش.

لم تقتصر عمليات "التعفيش" على منازل المدنيين، فقد تعرّضت المباني الحكومية والمدارس والمشافي في مدينة معرة النعمان لعمليات "تعفيش" وهدم مماثلة[158]. ورغم تورط أعضاء حزب البعث في تلك العمليات، فقد تعرضت منازل بعضهم لـ"التعفيش"، نظراً لتفوق سُلطة الميليشيات على سُلطة الحزب ضمن المنطقة. ففي مدينة خان شيخون، تعرض منزل أحد أعضاء حزب البعث من عائلة جاويش للتعفيش، وتعرض هو للتهديد بالقتل عند اعتراضه[159]. وتجدر الإشارة بأن الميليشيات تقوم ببيع وتصريف المسروقات في الأسواق القريبة، كمدينة السقيلبية وبلدة قمحانة بريف حماة وفي مدينة اللاذقية[160].

---

[155] المرجع السابق.

[156] مقابلة هاتفية مع أبو حسن، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[157] بيانات تم الحصول عليها من خلال مقاطعة معلومات 15 مقابلة أجريت بين 18 شباط/فبراير و9 نيسان/أبريل 2023. إذ قدّمت كل مقابلة تقديرات لنسب الهدم في كل بلدة، وتم اللجوء إلى استخراج المتوسط الحسابي لهذه التقديرات، ومطابقتها مع خرائط الأقمار الصناعية التي يوفرها موقع "Google" Maps لكل بلدة قبل وبعد سيطرة النظام عليها.

[158] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[159] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[160] أحمد العكلة، سوريون يروون لأورينت كيف سرق شبيحة أسد ممتلكاتهم بحماة وإدلب، أورينت، 9 كانون الأول/ديسمبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GpOu

ب. مصادرة الأراضي الزراعية

تزامنت سيطرة ميليشيات النظام على التمانعة وخان شيخون في شهر آب/أغسطس 2019، مع موسم قطاف أشجار الفستق الحلبي، الذي يبدأ في آب/أغسطس وينتهي في تشرين الأول/أكتوبر من كل عام، فقد بدأ عناصر الميليشيات المحلية بسرقة محاصيل الفستق الحلبي دون وجود منهجية واضحة لمصادرة الأراضي، فكان للعناصر من أبناء ريف إدلب الجنوبي الحصة الأكبر من محصول الفستق، إدراكاً منهم لأهميته وارتفاع أسعاره، مستغلين خبرتهم في عمليات القطاف[161].

وفي نهاية العام 2019، بدأت عملية مصادر الأراضي واستغلال محاصيلها تأخذ نمطاً مُنظماً وممنهجاً، خاصة بعد أن صدرت عن رؤساء "اللجان الأمنية" تعليمات لإحصاء الأراضي الزراعية التي يقيم أصحابها خارج مناطق سيطرة قوات النظام[162]. ووفق هذا الإحصاء، بدأ طرح أولى المزادات العلنية لاستثمار الأراضي المشجّرة بالفستق الحلبي والزيتون أو السليخ في ريف حماة الشمالي وريف إدلب الجنوبي في آب/أغسطس 2020، وذلك بموجب الأمر الإداري رقم 4400 الصادر عن رئيس "اللجنة الأمنية والعسكرية" في حماة[163].

حدّدَت الإعلانات مواعيد إجراء المزادات في مقرات الروابط الفلاحية والمراكز الثقافية، واشترطت على المشارك في المزاد أن يبرز وثيقة غير محكوم وصورة عن الهوية الشخصية، وأن يدفع سلفة مالية بمقدار 5000 ل. س عن كل هكتار يريد المزايدة عليه، على أن يعود ريع المزادات لصالح "صندوق دعم الشهداء" التابع للمكتب الفرعي لـ"الهيئة المركزية لدعم ومتابعة أوضاع أسر الشهداء" في محافظة حماة[164]. وتنفيذاً للأمر الإداري رقم 4400 الصادر عن "اللجنة الأمنية العسكرية" في حماة، أعلنَت الروابط الفلاحية في ريف إدلب الجنوبي والشرقي، خلال شهري تشرين الأول وتشرين الثاني 2020، عن إجراء ثلاثة مزادات لاستثمار أراضي النازحين، متذرعةً بأن "أصحاب الأراضي يدينون بقروض للمصرف الزراعي"[165]. وقد تضمّنت المزادات الثلاثة 108 قرية وبلدة ومزرعة[166]، شملت معظم ريف إدلب الواقع تحت سيطرة

---

[161] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[162] المزادات العلنية لاستثمار أراضي المعارضين، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 27 كانون الثاني/يناير 2012، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gsoo

[163] منذ خروج مدينة إدلب عن سيطرة قوات النظام في العام 2015، خصصت حكومة النظام "مكان عمل" لمديريات وفروع وأقسام محافظة إدلب ضمن نظيرتها في محافظة حماة، ليتمكن أبناء محافظة إدلب المقيمون في مناطق سيطرة النظام من متابعة معاملاتهم الرسمية. وشمل ذلك مديريات الكهرباء والصحة والسجل المدني والعقاري وغيرها، وأيضاً فروع المصارف الرسمية. كل ذلك، مع احتفاظ كل محافظة منهما بميزانيتها وهيكليتها الإدارية، لذلك بقيت محافظة إدلب خاضعة لسلطة "اللجنة الأمنية العسكرية" في حماة حتى نهاية عام 2021، عندما أعلن محافظ إدلب فك الارتباط بين المحافظتين واتخاذ مدينة خان شيخون مقراً مؤقتاً لمحافظة إدلب. للاطلاع أكثر انظر: فك الارتباط مع محافظة حماة يكرس خان شيخون محافظة إدارياً، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، مرجع سبق ذكره.

[164] حماة وإدلب: مزادات علنية لاستثمار أراضي النازحين، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 28 تشرين الأول/ أكتوبر 2020، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsoS

[165] المزادات العلنية لأراضي المشردين قسراً أسلوب إضافي من أساليب النظام للاستيلاء الواسع والمدروس على ممتلكات معارضيه، مرجع سبق ذكره.

[166] شملت الإعلانات أراضي 145 بلدة وقرية، بمساحة تقدر بحوالي 41 ألف هكتار، ففي منطقة خان شيخون: شمل الإعلان 62 منطقة عقارية بينها قرى وبلدات تبلغ مساحتها الكلية نحو 12696 هكتار، تشمل مختلف الزراعات الموسمية كالقمح والشعير والبقوليات والأشجار كالفستق الحلبي والزيتون. بينما في منطقة معرة النعمان: يشمل المزاد المعلن 83 منطقة عقارية، بينها البلدات والقرى بريف المعرة، وتبلغ مساحتها الكلية، 28445 هكتار، تمتد ضمن ريفي المعرة الشمالي والشرقي. وفي منطقة سراقب ومنطقة أبو الظهور إلى الشرق من سكة الحجاز: تشمل 69 منطقة عقارية، تبلغ المساحات الزراعية الكلية فيهما نحو 26514 هكتار، وتمتد من جانب الطريق الدولي M5، إلى آخر نقطة من الحدود الإدارية لمحافظة إدلب. للاطلاع أكثر انظر: حسين الخطيب، عبر المزادات العلنية.. النظام يستولي على أملاك النازحين في ريف إدلب، نون بوست، 18 كانون الأول/ ديسمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8WI

النظام. ولم تحدد الإعلانات عدد الأراضي التي سيجري استثمارها، ولا مساحتها ولا موقعها، ولا عدد المدينين للمصرف[167].

وخلال الموسم الزراعي 2021 - 2022، تولى محافظ حماة مهمة الإعلان عن مزادات استثمار الأراضي في محافظتي حماة وإدلب، على أن تجري المزادات في مبنى محافظة حماة[168]. وبعد فك الارتباط الإداري بين محافظتي حماة وإدلب، تولت "الأمانة العامة لمحافظة إدلب" الإشراف على المزادات في الحدود الإدارية للمحافظة، خلال الموسم الزراعي 2022 - 2023، وأصدرت في 13 أيار/مايو 2022 الإعلان رقم 580، والذي حمل اسم "إعلان للمرة الأولى بالسرعة الكلية"، وتضمّن الإعلان طرح أراضي عشرات البلدات والقرى في المزادات العلنية للاستثمار، تلاه عشرات الإعلانات، خلال الفترة الممتدة من حزيران/يونيو 2022 حتى آذار/مارس 2023. وتكون الإعلانات وفقاً للمحصول، وتجري جميع المزادات في مبنى الأمانة بخان شيخون[169].

وفي عام 2020، تشكّلت لجان من الروابط الفلاحية في القرى، ضمت التجار والوسطاء وقادة الميليشيات لإحصاء الأراضي، وقد أدت هذه الطريقة العشوائية في تحديد وإحصاء أراضي النازحين إلى زيادة المساحات المصادرة، إذ تمت مصادرة أراضي كل من لم ينضم للميليشيات، أو لم تظهر له مواقف واضحة في تأييد النظام، سواء كان نازحاً في مناطق المعارضة أو في مناطق النظام[170].

ورغم تجنب العشوائية في إحصاء عام 2021، إلا أنه ساهم أيضاً في مصادرة مساحات واسعة، شملت أراضي جميع النازحين في مناطق المعارضة أو النازحين ضمن مناطق سيطرة النظام، فقد شُكِّلت لجان متخصصة للإحصاء، اشترطت على أصحاب الأراضي: التواجد في أراضيهم خلال جولة اللجنة، وإبراز بيان قيد عقاري، وكل من لا يتواجد أو يفشل في إبراز بيان القيد العقاري الخاص بأرضه، تُسجّل ملكية أرضه في قيود النازحين ضمن مناطق المعارضة[171]. كما لم تعترف تلك اللجان بالوكالات التي نظّمها أقارب أصحاب الأراضي في محاكم النظام نفسه، ناهيك عن وضع عراقيل أمنية على سكان المنطقة، إذ يحتاج من يريد العمل في أرضه إلى موافقة أمنية تصدر عن طريق "اللجنة الأمنية"، ومن لا يحصل على الموافقة تُعرَض أرضه للاستثمار أسوة بالنازحين[172]. بالمقابل، ساهمت بعض الحوادث، التي يعتقد أنها مُفتعلة، في تعقيد

---

[167] حماة وإدلب: مزادات علنية لاستثمار أراضي النازحين، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، مرجع سبق ذكره.

[168] سورية/حماة: اللجنة الأمنية أداة استيلاء على أملاك النازحين واللاجئين، سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، 26 نيسان/أبريل 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Hio3

[169] لأراضي الفستق الحلبي والزيتون أولوية في إجراء الإعلانات، حيث جرى معظمها في أيار وحزيران 2022، ثم أراضي السليخ البعلية والتي جرت معظم إعلاناتها ومزاداتها في شهري أيلول وتشرين الأول، إذ لا يوجد إقبال لزراعة الأراضي البعلية، لذلك تلجأ الأمانة العامة للمحافظة إلى طرح هذه الأراضي في مزادات المراعي، فقد طرحت آخر مزاد في 6 آذار/مارس 2023. للاطلاع أكثر انظر: المُعرّف الرسمي لمحافظة إدلب، موقع "فيس بوك"، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4MgY

[170] سين جيم: هل يمكن للمزارعين المُهجرين في شمال غرب سورية استعادة أراضيهم؟، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 21 نيسان/أبريل 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GspA

[171] إدلب وحماة: النظام يحصي أراضي النازحين لطرحها في المزادات العلنية، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 23 حزيران/يونيو 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gspa

[172] نهاد طوباليان، النظام السوري يبيع الأراضي الزراعية المصادرة في إدلب بالمزاد العلني، ديارنا، 7 تشرين الثاني 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsLq

العملية أكثر وزيادة المساحات المصادرة، ففي يوم الأربعاء 22 أيلول/سبتمبر 2021، تعرّض "فجأة" مبنى السجِّل العقاري في حماة لحريق ضخم، التهم عدداً كبيراً من وثائق المُلكيّة التابعة لمحافظة إدلب، كانت محفوظة في المبنى[173].

يحصل قادة الميليشيات على معظم عقود استثمار أراضي النازحين عبر واجهات محلية وفلاحية، إذ قُسِّمَت الأراضي بين عدد من قادة الميليشيات[174]، وقد وضِعَت عراقيل عدة لمنع غير المرتبطين بالميليشيات من الدخول في مزادات الاستثمار، إذ يضطر الراغب بالمزايدة إلى دفع مبالغ كبيرة مقابل السماح له بالدخول إلى القاعة التي يجري فيها المزاد[175]. كما يوجد العديد من الأراضي التي تسيطر عليها الميليشيات ولا تدخل في الإحصاء والمزادات، على غرار أرض مختار حي التل في خان شيخون وتبلغ مساحتها حوالي 1000 دونم[176]. كما يُمنع السكان من زراعة أراضي أقربائهم النازحين، على سبيل المثال؛ يمتلك آل العلوان في قرية تحتايا حوالي 1000 دونم، تمكّن أقرباؤهم من زراعة 50 دونم فقط، في حين زرع قادة الميليشيات ما تبقى منها عبر وكلاء محليين[177].

وضمن هذا السياق، **يبرز اسم خالد الضاهر**، كأحد أبرز المقربين من القيادة القطرية في حزب "البعث" وأمينه العام المساعد هلال الهلال. وكلاهما له حصة كبيرة من عمليات استثمار وإدارة أراضي النازحين في مناطق المعرة وسراقب وخان شيخون وأبو الظهور، خاصة بعد أن شغل الضاهر منصب "رئاسة اتحاد فلاحي إدلب"، إثر سيطرة النظام على منطقة خان شيخون في العام 2019[178].

كما تمكّن **فؤاد علداني**، وهو عضو مجلس الشعب وقائد إحدى الميليشيات التابعة للفرقة 25/"قوات النمر"، من الحصول على عقود استثمار حوالي 50 ألف دونم[179]. في حين استطاع العناصر المحليون للميليشيات، ومنهم **أحمد الحسن/"حميدو" ونداء غجر** من استثمار الأراضي بالوكالة عن قائد كبير في الميليشيات، يُرجّح أنه أبو علي الأسد، فقد تمكّن أحمد الحسن من الحصول على مساحات واسعة من أراضي التح وتحتايا والتمانعة وسراقب[180]. وفي جرجناز، تمكّن عنصر محلي في الميليشيات، من آل الحمدو، من زراعة معظم أراضي بلدة جرجناز[181]، وحصل شخص **من آل الأسد** على معظم الأراضي الواقعة شرق وجنوب خان شيخون، وشخص أخر من **آل السباهي** على أراضي بالقرب من خان شيخون أيضاً[182].

---

[173] شكوك بافتعاله.. حريق ضخم يلتهم مبنى السجل العقاري في حماة، بلدي، 22 أيلول/سبتمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/HitG

[174] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[175] سورية/حماة: اللجنة الأمنية أداة استيلاء على أملاك النازحين واللاجئين، سوريون من أجل الحقيقة والعدالة، مرجع سبق ذكره.

[176] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم مدير المرصد الميداني "مباشر" المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[177] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[178] خالد الخطيب، ريف إدلب ووهم العودة: النظام يطرح أراضي العائدين... للاستثمار، المدن، 2 تشرين الأول/أكتوبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtOU

[179] المُعرّف الرسمي لشبكة أخبار نور حلب، موقع "فيس بوك"، 10 كانون الثاني/يناير 2023، مرجع سبق ذكره.

[180] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[181] المزادات العلنية لأراضي المشردين قسرياً أسلوب إضافي من أساليب النظام للاستيلاء الواسع والمدروس على ممتلكات معارضيه، مرجع سبق ذكره.

[182] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

وقد حصل مقربون ووجهاء مرتبطون بميليشيات النظام على عقود استثمار مماثلة، منهم **أحمد جميل عقرين، وأحمد درويش المبارك**، قائد "فوج المبارك"، وعضو مجلس الشعب **أحمد غافقي الأبرش**، وناصر النعسان، وحسن فايز النوري شيخ عشيرة الدولة، واللواء المتقاعد جمعة الجاسم، شيخ عشيرة المعاطة[183]. كما استطاعت بعض العائلات النافذة تحصيل حصة من الاستثمارات في أراضي النازحين، بينها **أقارب وزير الداخلية** في حكومة النظام السوري، محمد الرحمون، و **أقارب رئيس حكومة النظام**، حسين عرنوس، الذي ينحدر أيضاً من بلدة التح[184].

بالمقابل، **يفرض قادة الميليشيات إتاوات مالية** على مُلاّك الأراضي الكبيرة في المنطقة، تكون غالباً خلال فترة الحصاد، وتصل في بعض الحالات إلى مصادرة نصف المحصول[185]. أما بالنسبة للأراضي الصغيرة التي تقل مساحتها عن 10 دونمات، فلا يفرض قادة الميليشيات على أصحابها إتاوات مُحددة، ولكن يترك المجال أمام عناصر الميليشيات التابعين لهم فرض إتاوات عينية[186]. وكذلك تفرض حواجز الميليشيات إتاوات إضافية عند نقل المحصول، ويحدد مبلغ الإتاوة وفق كمية المحصول. ولا تقتصر هذه الإتاوات على الميليشيات المحلية، إذ تفرض ميليشيات "حزب الله" اللبناني المنتشرة في بلدة التمانعة إتاوات مماثلة على ملاّك الأراضي[187].

إلى جانب نشاط الميليشيات في مصادرة الأراضي وممتلكات النازحين، تسعى السُلطة المحلية كذلك إلى مصادرة المنشآت واستثمارها. فقد منح محافظ إدلب ثائر سلهب، أصحاب المنشآت التي طال الدمار معظمها، مهلة زمنية محدودة لترميمها وافتتاحها، وفي حال عدم حدوث ذلك، تصادر منشآت النازحين وتعرض في مزادات علنية للاستثمار. ومن المفترض أن يحصل المستثمرون بعقود طويلة على قروض تُسهّل عمليات إعادة الترميم، بحيث لن يكون في إمكان أصحاب المنشآت الأصليون استردادها حتى انقضاء مدة العقد ودفع تكاليف الترميم[188].

تمارس الميليشيات وسائل أخرى للتمويل، منها إدارة المعابر واحتكار التجارة في المنطقة[189]، إذ تحاول إجبار الراغبين بشراء ألواح الطاقة الشمسية على شرائها من مصدر واحد مرتبط بقادة الميليشيات، وتفرض إتاوات على كل لوح طاقة شمسية مخالف. كما تفرض إتاوات مماثلة على المحال التجارية في خان شيخون[190]، فضلاً عن قطع أشجار الزيتون في بلدات معصران وتلمنس. في حين تعتمد "الفرقة الرابعة" على تسيير دوريات "الترفيق" على طول الطريق الدولية بين معرة النعمان وخان شيخون، وتدير شبكات تهريب من وإلى مناطق المعارضة[191].

---

[183] النظام يرمم معرة النعمان. من جيوب زعماء العشائر وقادة الميليشيات، وكالة الأخبار الدولية، مرجع سبق ذكره.

[184] خالد الخطيب، ريف إدلب ووهم العودة: النظام يطرح أراضي العائدين...للاستثمار، المدن، مرجع سبق ذكره.

[185] أحمد العكلة، الطريق إلى مناطق النظام عبر التهريب وخيبة أمل .. محاولات النظام السوري استقطاب المهجرين إلى مناطق سيطرته شمال حماة، عين المدينة، 1 أيلول/سبتمبر 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtO6

[186] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[187] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[188] خالد الخطيب، النظام يروج لإعادة الحياة إلى معرة النعمان التي نهبتها قوات النمر، تلفزيون سوريا، 17 تشرين الثاني/ نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GpNN

[189] تجدر الإشارة إلى أن إدارة المعابر لا تعتبر المدخل الأساسي لتمويل الميليشيات، بسبب عدم انتظام عمل معبر سراقب، واقتصاره على إدخال المساعدات.

[190] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[191] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

وقد أدّت سيطرة الميليشيات على اقتصاد المنطقة وتسخير السُلطة المحلية في خدمة وتمويل قادتها وعناصرها، إلى حرمان المنطقة من وجود آلية لإدارة اقتصادها وتحقيق تعافٍ مُبكِّر فيها، فضلاً عن تحويلها إلى مصدر تمويل للميليشيات عبر ممارسات انتقامية من السكان، وتقنين مصادرة الممتلكات العقارية وأراضي النازحين، بشكل يوضّح مدى تسخير السُلطة في خدمة مصالح قادة الميليشيات وأصحاب النفوذ ممن أبدوا ولاء مطلقاً للنظام، في نموذج واضح على منحهم سلطات واسعة وتفويضهم جزءاً من صلاحيات الدولة، مقابل ضمان ولائهم وقتالهم إلى جانب النظام.

ثالثاً: عودة النازحين.. الظروف والمعوقات

مع ترويج النظام بشكل كبير لعودة النازحين إلى ريف إدلب الجنوبي، وتكليفه وجهاء المنطقة بالتواصل معهم وتشجيعهم؛ كان لا بد من رصد حركة عودة النازحين العائدين إلى المنطقة ومستوى كثافتها، وتوزع نقاط عودتهم، و أنماط ودو افع هذه العودة، ثم تحديد أبرز المعوقات والعر اقيل التي تواجه عودة نازحين آخرين، وذلك وفقاً لما يلي:

1. توزع نقاط عودة النازحين

تركّزت عودة النازحين في بلدات وقرى القسم الجنوبي الشرقي من الريف الجنوبي للمحافظة، وبلغت أوجها في مدينة خان شيخون والتمانعة والتح والخوين وأم جلال. ففي خان شيخون عادت أكثر من 1000 عائلة من أبناء المدينة والقرى المحيطة بها. وفي التمانعة عادت حوالي 400 عائلة[192]. وفي التح حوالي 250 عائلة من أبناء التح ودير شرقي ودير غربي[193]. كما شهدت بلدة الخوين عودة حوالي 200 عائلة، والمعيصرونة عودة 50 عائلة، وأم جلال 250 عائلة، وأبو حبة 50 عائلة، وذلك **بسبب صلات القر ابة العشائرية التي تربط هذه البلدات مع أحمد درويش المبارك**[194].

وخلال المدة الزمنية الممتدة منذ بدء سيطرة قوات النظام على المنطقة في أواخر عام 2019 إلى نهاية عام 2022، منعت قوات النظام نازحي مدينة معرة النعمان والبلدات والقرى المحيطة بها من العودة حتى أواخر عام 2022[195]، **إذ أعلنت المنطقة "منطقة عسكرية" ومنعت دخول المدنيين إليها**[196]. ونظراً لانعدام الخدمات في معظم بلدات المنطقة، وصعوبة تأمينها في جميع البلدات، ومحاولة إبراز نموذج جيد للعودة عبر حملات إعلامية تظهر كثافة عدد العائدين؛ فرضَت قوات النظام على العائدين البقاء في حي واحد ضمن مدينة خان شيخون أو التح أو التمانعة، مع السماح لهم بزيارة منازلهم

---

[192] المرجع السابق.

[193] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[194] مقابلة هاتفية مع صخر العلي، رئيس المكتب السياسي بالمجلس الأعلى لقبيلة البو شعبان، مرجع سبق ذكره.

[195] منع النظام المدنيين من الدخول إلى مدينة معرة النعمان منذ سيطرته عليها بداية عام 2020 حتى أيلول/سبتمبر 2022، وإلى قرى وبلدات تلمنس ومعرشون ومعرشمشة ومعرشمارين منذ بداية عام 2020 حتى شباط/فبراير 2023. للاطلاع على تاريخ السماح بعودة المدنيين انظر: محافظ إدلب: السماح للأهالي بالعودة إلى معرة النعمان بريف إدلب المحرر بدءاً من الأسبوع المقبل، وكالة سانا، 28 أيلول/سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8XC. انظر أيضاً: بعد تأمينها ورفع مخلفات الإرهابيين.. السماح لأهالي 4 قرى بريف إدلب الجنوبي بالعودة إلى منازلهم، وكالة سانا، 18 شباط /فبراير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I8XJ

[196] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لمدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

وأراضيهم بضع ساعات[197]. ترافق ذلك مع تردي الواقع الأمني، إذ **يخشى العائدون من تعرضهم للاستهداف والاعتقال والخطف** إذا ما وجدوا خارج التجمعات المحددة[198].

في نهاية عام 2022، سُمح للعائلات بالدخول إلى بلدات منطقة معرة النعمان، حينها روّج إعلام النظام لـ "عودة 400 عائلة إلى مدينة المعرة". ولكن جميع العائدين لم يستقروا في المدينة، بسبب **المضايقات الأمنية** التي تعرضوا لها[199]، **إضافة إلى انعدام الخدمات الأساسية وعدم توفر بيئة أمنية ملائمة**[200]، فضلاً عن تولي العائدين ترميم منازلهم[201]. أما في ريف المدينة الشرقي، فقد عادت 22 عائلة إلى دير شرقي[202]، وإلى جرجناز 10 عائلات، وتلمنس 10 عائلات[203]. وفي قرية تحتايا عاد حوالي 100 شخص[204]، وفي حيش 30 عائلة[205]، وفي كفر سجنة 20 عائلة، وفي معرة حرمة 10 عائلات[206]، وفي صهيان 4 عائلات، وفي موقة عائلتان[207]. في حين لم تشهد بقية البلدات والقرى البالغ عددها 108 بلدة وقرية أي عودة[208].

جدول 3: عدد سكان مدن وبلدات المنطقة التي شهدت عودة نازحين، وعدد العائدين إليها ونسبهم إلى مجمل عدد السكان.

مناطق العودة	عدد السكان بحسب إحصاء 2004[209]	عدد السكان المتوقع في عام 2011[210]	عدد العائدين عائلات[211]	عدد العائدين "نسمة"[212]	نسبة العائدين إلى مجموع السكان المُقدّر عام 2011
مدينة خان شيخون	34000 نسمة	40700 نسمة	1000 عائلة	6200 نسمة	%15.2
التح	8600 نسمة	10300 نسمة	250 عائلة	1250 نسمة	%12

[197] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[198] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[199] خالد الخطيب، تلفزيون سوريا، النظام يروج لإعادة الحياة إلى معرة النعمان التي نهبتها قوات النمر، مرجع سبق ذكره.

[200] حاولت عائلة إعادة ترميم وإصلاح منزلها، لكنها تعرضت للسرقة والابتزاز من قبل عناصر الميليشيات في المدينة.

[201] مقابلة هاتفية مع زكريا قيطاز، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[202] إدلب: التسوية لا تمنع المزادات العلنية لاستثمار أراضي الغائبين، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 27 أيلول/سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/Gsqr

[203] مقابلة هاتفية مع مدير المرصد الميداني، "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[204] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[205] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لبلدة حيش، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[206] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[207] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[208] للاطلاع أكثر على عدد بلدات وقرى المنطقة انظر: الجمهورية العربية السورية -إحصاءات السكان، منظمة "الأوتشا"، تم التحديث في 15 آب/ أغسطس 2018، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I7DZ

[209] المرجع السابق.

[210] تم حساب العدد التقديري للسكان من خلال قانون الزيادة السكانية، عدد السكان في سنة ما = عدد السكان في سنة الأساس(1+ معدل الزيادة السنوية/100) مرفوعة للأس "السنة الأخيرة _ سنة الأساس"، يقدر معدل النمو السنوي للسكان في محافظة إدلب بنحو 2.6 % بحسب تقرير المكتب المركزي للسكان الصادر في عام 2004. للاطلاع أكثر انظر: المكتب المركزي للإحصاء، نسبة سكان المحافظات ومعدل النمو السنوي للسكان طبقاً لنتائج تعدادات السكان للأعوام 1981، 1994 وتقدير معدل النمو السنوي للسكان خلال الفترة 1995-2000، 2000-2005، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I7El،

[211] بيانات تم الحصول عليها عبر مقاطعة معلومات 15 مقابلة أجريت بين 4 شباط/فبراير و9 نيسان/أبريل2023. من خلال منح أوزان نسبية لتقديرات عدد العائدين، ليتم ترجيح التقديرات المقدمة من الأشخاص الأكثر اطلاعاً في كل بلدة، ثم استخراج المتوسط الحسابي للأعداد التقديرية للسكان العائدين التي قدمتها كل مقابلة لكل بلدة.

[212] يقدر متوسط حجم الأسرة الواحدة في محافظة إدلب بنحو 6.2 فرد لكل أسرة، للاطلاع أكثر انظر ريما سويد ومحمد ويحا ووضاح الركاد، أنماط الأسرة وتطورها، المكتب المركزي للإحصاء، دمشق 2007، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/I7FD.

مركز ناحية التمانعة	7400 نسمة	8850 نسمة	400 عائلة	2480 نسمة	% 28
صهيان	240 نسمة	285 نسمة	4 عائلات	25 نسمة	%8.7
موقة	1118 نسمة	1330 نسمة	عائلتان	13 نسمة	%0.9
تحتايا	1298 نسمة	1550 نسمة	100نسمة	100 نسمة	%6.5
مركز ناحية حيش	8817 نسمة	10550 نسمة	30 عائلة	186 نسمة	%1.76
كفرسجنة	8935 نسمة	10700 نسمة	20 عائلة	124 نسمة	%1.15
معرة حرمة	7216 نسمة	8636 نسمة	10 عائلات	62 نسمة	%0.7
دير شرقي	4429 نسمة	5300 نسمة	22 عائلة	137 نسمة	%2.5
جرجناز	10756 نسمة	12875 نسمة	10 عائلات	62 نسمة	%0.48
تلمنس	11359 نسمة	13600 نسمة	10 عائلات	62 نسمة	%0.45
أم جلال	2641 نسمة	3160 نسمة	250 عائلة	1260	%40
أبو حبة	517 نسمة	618 نسمة	50 عائلة	250	%40
الخوين	2094 نسمة	2500 نسمة	200 عائلة	1000	%40
معيصرونة	576 نسمة	690 نسمة	50 عائلة	250نسمة	%36
الهبيط	10144 نسمة	12140نسمة	10عائلات	50 نسمة	%0.4

2. أنماط ودوافع عودة النازحين

على الرغم من ضآلة عدد العائدين إلى المنطقة مقارنة بعدد سكانها قبل العام 2011، إلا أن التفاوت في أعداد ونسب العائدين بين بلدات المنطقة، يثير تساؤلات عدة حول أنماط ودو افع عودة النازحين، وأسباب اختلاف نسب العودة، بحسب المنطقة، ومدى مساهمة هياكل السُلطة المحلية في ذلك، ولعلّ الإجابة عن تلك التساؤلات تستدعي بدايةً التعرف إلى أنماط العودة، والتي يمكن استعراضها بالشكل التالي:

أ. عائلات الموظفين وقادة الميليشيات

بهدف إظهار قدرته على إعادة بناء سُلطته في المنطقة، والتأكيد على تحقيقه الهيمنة و"الاستقرار" فيها، طالب النظام الموظفين الحكوميين وعناصر الميليشيات المحليين والوجهاء المقربين منه بالترويج لعودة النازحين، من خلال تشجيع عائلاتهم وأقربائهم على العودة، إذ عمد بعض عناصر الميليشيات إلى جلب أسرهم إلى أماكن نشاطهم. ففي قرية تحتايا مثلاً، أعاد أحمد الحسن/"حميدو" عائلته إلى القرية، وفي بلدة التح قام نداء غجر بعمل مماثل[213]، في حين استقطب عشرات الجنود التابعين للميليشيات أسرهم للعيش معهم في مدينة خان شيخون[214].

بالمقابل، شهدت مدينة خان شيخون عودة أسر موظفي المؤسسات الحكومية، بعد تحويل المدينة إلى مركز مؤقت لمحافظة إدلب، إذ ساهم الموظفون الحكوميون وأعضاء حزب البعث بالتواصل مع النازحين من أجل تشجيعهم على

[213] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[214] أحمد العكلة، الطريق إلى مناطق النظام عبر التهريب وخيبة أمل .. محاولات النظام السوري استقطاب المهجرين إلى مناطق سيطرته شمال حماة، عين المدينة، مرجع سبق ذكره.

العودة[215]. كما أسهم مسؤولو النظام من أبناء المنطقة في عودة أقربائهم، فقد عاد إلى خان شيخون العديد من أقرباء وزير الداخلية محمد خالد الرحمون، بينما عاد إلى بلدة التح معظم آل العرنوس من أقرباء رئيس الوزراء حسين عرنوس، بعد استقطابهم من قبل رئيس بلدية التح، عبد الكريم عرنوس[216]. وكذلك، أسهم أحمد درويش المبارك في عودة أقربائه إلى بلدة الخوين وقرية المعيصرونة.

ومن خلال المقارنة بين أعداد ونسب العائدين إلى بلدات المنطقة، يظهر أثر مساهمة قادة وعناصر الميليشيات وبعض النافذين في المؤسسات الحكومية والوجهاء المقربين من النظام في عودة النازحين، مع اختلاف تلك النسب، إذ ترتفع نسبة العودة في بلدة التح مقارنة بدير شرقي وتلمنس، بسبب مساهمة رئيس بلدية التح عبد الكريم عرنوس، في استقطاب أقربائه النازحين في مناطق المعارضة، وكذلك مساهمة عناصر الميليشيات كنداء وصلاح غجر وأحمد الحسن. بينما تنعدم العودة إلى مدينة معرة النعمان، مقابل ارتفاعها نسبياً في مدينة خان شيخون، وذلك لأسباب عدة منها: تحوّل المدينة إلى مركز مؤقت لمحافظة إدلب، إضافة إلى دور وزير الداخلية محمد خالد الرحمون المنحدر من المدينة[217]. وكذلك ترتفع النسب في الخوين وأم جلال ومعيصرونة، مقارنة بنسب العائدين إلى معرة حرمة والهبيط وحيش وجرجناز، ويعود ذلك إلى مساهمة أحمد درويش المبارك في عودة عدد من أبناء عشيرته إلى الخوين وأم جلال ومعيصرونة [218].

ب. دوافع اقتصادية وعودة موسمية

يرتبط جزء من دوافع عودة بعض النازحين بالواقع الاقتصادي للنازح، وبطبيعة النشاط الاقتصادي والزراعي للمنطقة، ويتضح ذلك من خلال المقارنة بين طبيعة النشاط الاقتصادي والزراعي في كل بلدة وأعداد ونسب العائدين إليها. وضمن هذا الإطار تشهد فترتا بداية الموسم الزراعي ونهايته عودة عدد من النازحين بهدف تنظيم عقود استثمار الأراضي، إذ يأتي إلى المنطقة نازحون من مناطق النظام والمعارضة، معظمهم من كبار السن، بهدف الحصول على عقود أو تأجير أراضٍ أو قطاف الثمار، ضمن نمط أشبه بالعودة الموسمية، يرتبط بأنواع المحاصيل والموسم الزراعي في كل منطقة[219].

ويمكن تقسيم المنطقة إلى **خمسة قطاعات وفق أنواع المزروعات**: ففي **المنطقة الجنوبية من الريف**، في خان شيخون والتمانعة، تنتشر زراعة الفستق الحلبي بشكل رئيس، وقد شهدت تلك المناطق الزراعية عودة أكبر مقارنة بالمناطق الأخرى، إذ يتوقع بعض العائدون أن تسهم محاصيل الفستق ذات الأثمان المرتفعة في تحسين ظروفهم الاقتصادية. في حين يعود آخرون بهدف الحفاظ على جودة الأشجار المزروعة دون الحصول على مردود مادي[220]، لأن إهمال الأشجار قد يؤدي إلى قطعها، فكثيراً ما تتعرض الأشجار للإهمال والتكسير خلال عمليات الاستثمار من قبل غير أصحابها، لذا تكون عودة النازحين مهمة للعناية بالأشجار[221].

---

[215] مقابلة هاتفية مع عاصم زيدان، ناشط حقوقي من ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[216] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[217] المرجع السابق.

[218] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لبلدة حيش، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[219] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[220] تحتاج شجرة الفستق الحلبي بين 15-20 عاماً حتى يتم جني محصولها لأول مرة.

[221] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

بالمقابل، تنخفض نسب العودة تدريجياً **في المنطقة الوسطى**، وفقاً لتدرُّج أنواع المزروعات، إذ تنخفض مساحة أراضي الفستق الحلبي بالتدريج من الجنوب إلى الشمال، وتنتشر زراعة الزيتون في بلدات وقرى التح وتحتايا ودير شرقي ودير غربي وحيش وتلمنس وجرجناز وصولاً إلى محيط مدينة معرة النعمان. **أما القسم الشمالي**، الممتد شمال مدينة معرة النعمان إلى مدينة سراقب، حيث تسود زراعة الزيتون، فلم تشهد هذه المنطقة عودة نازحين. **وفي القسم الشرقي**، حيث تنتشر الأراضي البعلية في قرى أم جلال وأبو حبة والخوين والمعيصرونة، فتتعلق دوافع العودة إليها بالرابطة العشائرية التي تجمع سكانها مع أحمد درويش المبارك. في حين تنتشر زراعة الزيتون **في المنطقة الغربية** وتتحول إلى بعلية في جبل شحشبو، وتضم بلدات كفرنبل وكفرومة وحاس وحيش وصولاً إلى معرة حرمة والشيخ مصطفى، ولم تشهد هذه المنطقة عودة إلا لعدد ضئيل من العائلات في معرة حرمة وحيش. وقد تأتي عائلات من مدينة حماة، بسبب الوضع الاقتصادي السيئ، إذ يمكنهم السكن في أحد منازل خان شيخون دون دفع إيجارات شهرية، وفي كثير من الحالات تكون هذه العائلات مقربة من عناصر الميليشيات[222]. كما مثّل الواقع الاقتصادي السيئ لمعظم النازحين في مناطق المعارضة دافعاً للعودة والبحث عن فرص زراعية في المنطقة[223].

ت. مخاطر أمنية ودوافع هجرة

تلعب المخاطر الأمنية التي قد يتعرض لها النازحون ضمن المناطق المُضيفة، دوراً مهماً في دفع بعضهم إلى العودة. فقد أدت حملات الاعتقال التي قادتها "هيئة تحرير الشام" في إدلب ضد مروجي المصالحة مع النظام في أواخر عام 2018، إلى دفع العديد منهم للانتقال إلى ريف إدلب الجنوبي[224]. كما قد يجد بعض مرتكبي الجرائم والقضايا الجنائية والملاحقون من قبل "تحرير الشام" و"الجيش الوطني"، في العودة والعمل ضمن صفوف الميليشيات ملجأ لهم بعيداً عن المساءلة[225].

بالمقابل، تُشكّل الرغبة في الهجرة والخروج من سورية، دافعاً قوياً لدى البعض للعودة إلى المنطقة، وتقتصر هذه الرغبة على النازحين ضمن مناطق المعارضة، إذ يُسهم عدم الاعتراف الدولي بالوثائق الصادرة عن مؤسسات المعارضة في دفع بعض النازحين الراغبين بالهجرة، إلى العودة مؤقتاً من مناطق المعارضة إلى ريف إدلب الجنوبي، بهدف استخراج وثائق رسمية للسفر ثم الهجرة إلى الخارج عبر إحدى المنافذ الرسمية في مناطق سيطرة النظام[226].

وعلى اختلاف أنماط العودة، يتّبع العائدون من مناطق المعارضة إلى ريف إدلب الجنوبي الخاضع لسيطرة النظام طريقتين للعودة: إما بشكل رسمي، بعد التواصل مع قادة في الميليشيات وتقديم طلب عودة إلى "مكتب المصالحة"، يلتزم بموجبه العائدون عبر المصالحة باصطحاب جميع أفراد عائلتهم، إذ يمنع العودة بشكل فردي، كما يجب على العائد جلب كامل أثاث منزله[227]. أما في حال كان الشخص العائد مطلوباً أمنياً، فإنه يدفع مبلغاً مالياً لشبكات تهريب مرتبطة بالفرقة

---

[222] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[223] تحدث جميع من تمت مقابلتهم خلال فترة الدراسة من الناشطين والوجهاء وأهالي المنطقة، عن تسبب الواقع الاقتصادي في مناطق المعارضة بدفع بعض النازحين إلى العودة إلى ريف إدلب الجنوبي بحثاً عن واقع اقتصادي أفضل.

[224] المرجع السابق.

[225] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[226] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[227] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

الرابعة، تبلغ حوالي 700 دولار للفرد الواحد، كما يدفع مبالغ مالية لعناصر الميليشيات من أبناء قريته مقابل تأمين الحماية الأمنية، وقد يختلف المبلغ المدفوع باختلاف الوضع المادي للراغب بالعودة[228].

3. معوقات وعراقيل العودة

رغم افتتاح النظام مركزاً "للتسوية" في مدينة خان شيخون بتاريخ 3 أيلول/سبتمبر 2022، بهدف تعزيز عودة النازحين[229] وتقديم تسهيلات للمطلوبين[230]، إلا أن جُملة من المُتغيرات البنيوية في السُلطة المحلية للمنطقة ومكوناتها، قد عرقلت عودة النازحين إلى ريف إدلب الجنوبي، تتمحور جميعها حول نموذج السُلطة المحلية القائم في المنطقة وآليات عمله ، وتتلخّص بالمعوقات التالية:

أ. خدمات جزئية ووهمية

أهملت الهياكل الرسمية تأمين الخدمات الأساسية للعائدين، إذ تقتصر الخدمات الجزئية على مناطق محددة في خان شيخون والتمانعة والتح، بينما تختفي في بقية المناطق، مما يجعل المنطقة غير مهيأة للعودة. أما عن دور الهياكل الرسمية للسُلطة المحلية، فقد اقتصر على محاولة الترويج الإعلامي للعودة، دون السعي لتحقيق مقوماتها، إذ يدّعي مجلس المحافظة والمجالس المحلية تأمين الخدمات في قرية ما سعياً لعودة النازحين، لكنها وفقاً للمقابلات وعمليات الرصد، تعد خدمات جزئية ومحدودة في بعضها، ووهمية للاستهلاك الإعلامي في بعضها الآخر، تقتصر على تعبيد وتزيين عشرات الأمتار من الشوارع.

ورغم تشكيل حزب البعث "لجنة تسهيل عودة أهالي معرة النعمان"[231]، وتنظيمه جولات لتفقد أوضاع العائدين[232]، إلا أن عمل الحزب اقتصر أيضاً على الترويج لعودة النازحين بواسطة تنظيم المسيرات والاحتفالات خلال المناسبات، مع التركيز على تنسيب طلاب المدارس لمنظمة طلائع البعث، وتنظيم الحملات التطوعية لتنظيف بعض الشوارع وإزالة الركام، وهذه الفعاليات تنتهي جميعها مع انتهاء التصوير الإعلامي[233].

ب. "تعفيش" وهدم المنازل

أسهمت عمليات "التعفيش" والهدم الممنهج للمنازل والأبنية وتركّزها في مناطق الانتشار العسكري، في جعل المنطقة غير صالحة للعودة، إذ شملت عمليات "التعفيش" جميع محتويات المنازل في ريف إدلب الجنوبي بسبب المراحل المتعددة والمركّزة للعملية، والتي تنتهي غالباً بهدم المنازل واستخراج حديد التسليح. وتصل نسبة المنازل المهدمة بهدف استخراج

[228] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[229] يسمح بدخول العائلات من مناطق المعارضة إلى مناطق النظام مع أغراضهم من أثاث وأغنام وسيارات مجاناً بدون رسوم، شرط عودة العائلة بالكامل.

[230] مُنح المتخلفون والمنشقون عن الخدمة العسكرية شهراً كاملاً للالتحاق بالخدمة مجدداً، ثم تمت زيادة المدة إلى سنة كاملة قابلة للتجديد.

[231] هل عاد النازحون إلى معرة النعمان؟، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 25 تشرين الأول/أكتوبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsqM

[232] صفحة الإعلام الإلكتروني في إدلب، موقع فيس بوك، 19 كانون الثاني/يناير 2023، متوفر على الرابط التالي: https://fbook.cc/4Hus

[233] مقابلة مع أحمد عنكير، ناشط من بلدة الهبيط، مرجع سبق ذكره.

حديد التسليح إلى أكثر من 80% في بلدات وقرى كفرومة وكفرنبل وتلمنس وجرجناز ودير شرقي، في مثال واضح على تنفيذ النظام سياسة عقابية جماعية ضد هذه المناطق ذات الأغلبية المعارضة.

ت. وجهاء غير فاعلين

رغم محاولاتهم العديدة، لم ينجح الوجهاء المحليون المقربون من النظام بلعب دور الوساطة في ملف النازحين، خاصة المتواجدين في مناطق المعارضة، إلا بشكل طفيف جداً، وبشكل خاص في الخوين وأم جلال والرفة والمعيصرونة، حيث تتصاعد أهمية الانتماء العشائري، فقد استطاع وجهاء بعض العشائر تسهيل دخول عدد من العائلات إلى المنطقة عبر ممرات التهريب[234].

بالمقابل، لم يلعب وجهاء مدن خان شيخون ومعرة النعمان دوراً يذكر في تشجيع العودة، فمعظم وجهاء المنطقة قد نزحوا عنها إلى مناطق المعارضة أو النظام[235]. ورغم تواصل الأخير مع بعضهم إلا أنهم لم يسهموا في تشجيع العودة. على سبيل المثال لا الحصر، تواصل النظام مع منير قطيني، وهو أحد وجهاء مدينة خان شيخون بهدف إقناعه بالمشاركة في تشجيع عودة النازحين، إلا أنهُ لم يعد للمدينة ولم يشارك معتبراً أن المنطقة غير مهيأة للعودة[236]. كما لم يُسهم العائدون منهم بتشجيع غيرهم على العودة، فرغم عودة أبو علي السلطان من مناطق المعارضة إلى بلدته، وهو أحد وجهاء بلدة التح، فإنه لم يسهم بعودة أبنائه وأقربائه النازحين[237].

ث. مناطق عسكرية يحظر العودة إليها

بفضل سيطرتهم ونفوذهم على جميع مكونات السُلطة المحلية في ريف إدلب الجنوبي، امتلك قادة الميليشيات قدرة أكبر على التأثير السلبي في عودة النازحين، إذ اتخذت الميليشيات جملة من القرارات التي عرقلت عودتهم. ففي عام 2020، مَنحَت ميليشيا النظام العائدين من مدينة حماة إلى منطقة معرة النعمان وخان شيخون ساعات عدة لمشاهدة منازلهم والخروج بعدها، في ظل "تعفيش" مستمر من قبل عناصرها[238].

استمرت قرارات المنع حتى عام 2021، خاصة بعد منع النظام المدنيين القاطنين ضمن مناطق سيطرته في مدن حماة وحلب من العودة إلى منازلهم، بذريعة إعلان "المنطقة عسكرية ومنع تواجد المدنيين فيها"[239]. كما استمر منع العودة إلى منطقة معرة النعمان والقرى المحيطة بها حتى أيلول/سبتمبر 2022[240]، إذ منعت حواجز قوات النظام عائلات عدة من

---

[234] حسين الخطيب، نظام الأسد يكثّف المصالحات في محافظة إدلب، نون بوست، 11 أيلول/سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtQ5

[235] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[236] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[237] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[238] أحمد العكلة، سوريون يروون لأورينت كيف سرق شبيحة أسد ممتلكاتهم بحماة وإدلب، مرجع سبق ذكره.

[239] أحمد عقلة، أهالي ريفي حماة الشمالي وإدلب الجنوبي ممنوعون من العودة لمنازلهم، تلفزيون سوريا،28 شباط/فبراير 2021، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GpPS

[240] بهاء النوباني، الحكومة السورية تعلن السماح لسكان مدينة جنوبي إدلب بالعودة إلى منازلهم، نورث برس، 29 أيلول/سبتمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GtR6

الدخول إلى معرة النعمان[241]. وما تزال قوات النظام إلى تاريخ إعداد هذه الورقة، تمنع عودة النازحين إلى مناطق شمال مدينة معرة النعمان حتى سراقب[242].

ج. تصاريح العودة

تضع الميليشيات العديد من المعوقات أمام عودة النازحين، إذ تطالب الراغبين في العودة بالحصول على تصاريح أمنية، إضافة إلى إبراز أوراق "طابو" تُثبِت مُلكيّة المنازل أو الأراضي. ولكن في الوقت نفسه، تعرقل الميليشيات ذاتها حصول العائدين على تصريحات أمنية للعودة بالاستفادة من نفوذها لدى "اللجنة الأمنية" المسؤولة عن منح تلك التصاريح، وذلك، بسبب رغبة تلك الميليشيات في الاحتفاظ بالأراضي الزراعية للنازحين، والتي تدر عليهم أرباحاً كبيرة. من جهة أخرى، يحتاج الراغبون بالعودة إلى أوراق إثبات المُلكيّة التي تمنحها محاكم النظام ومجالس البلديات، والتي في الغالب تماطل في عمليات المنح، وقد ترفض في بعض الحالات[243].

كما وترفض "اللجنة الأمنية" منح تصاريح العودة للكثير من النازحين داخلياً[244]، وتفرض المجالس المحلية على الراغبين بالعودة الحصول على تقرير هندسي من "لجان السلامة العامة" في مجلس الوحدة الإدارية المعنية، يفيد بأن "المنزل سليم إنشائياً وقابل للسكن"، وفي حال كان البناء غير سليم إنشائياً وغير صالح للسكن، ينبغي لصاحب العِقار التقدم بطلب للحصول على إذن ترميم البناء من البلدية[245].

ح. تسوية لا تمنع الاعتقال

تلعب ممارسات الميليشيات دوراً مهماً في عرقلة عودة النازحين، بسبب الانتهاكات التي يتعرض لها العائدون، إذ لا تؤدي "التسوية" التي يجريها العائدون إلى حمايتهم من المساءلة والاعتقال. فبعد إجراء عدد من عائلات مدينة معرة النعمان "تسوية" بهدف العودة، مَنعَت حواجز "كتائب البعث" و"قوات النمر"/المخابرات الجوية دخولهم إلى المدينة، واعتقلت العديد من الأشخاص بتهمة الانتماء لفصائل المعارضة[246]. كما شهدت قرية دير شرقي اعتقال بعض السكان، فبعد عودة عائلتين من مناطق المعارضة إلى القرية، طلب فرع الأمن السياسي في مدينة حماة من 3 أشخاص في القرية مراجعته، بسبب تغيبهم عن حفل "شكر" القيادة العسكرية والسياسية الذي أقيم في 11 أيلول/سبتمبر 2022 برعاية فرقة حزب البعث[247].

---

[241] مقابلة هاتفية مع أبو حسن، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[242] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[243] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لمدينة معرة النعمان، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[244] مقابلة مع أحمد عنكير، ناشط من بلدة الهبيط، مرجع سبق ذكره.

[245] تأثير بعض العوامل الرئيسة المتعلقة بالسكن والأرض والملكية على عودة النازحين خلال النصف الأول من عام 2022، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، 3 تشرين الثاني/نوفمبر 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/GsrA

[246] خالد الخطيب، تلفزيون سوريا، النظام يروج لإعادة الحياة إلى معرة النعمان التي نهبتها قوات النمر، مرجع سبق ذكره.

[247] إدلب: التسوية لا تمنع المزادات العلنية لاستثمار أراضي الغائبين، حقوق السكن والأراضي والممتلكات، مرجع سبق ذكره.

وقد يتعرض العائد للاعتقال أو الخطف، والذي يستمر لأشهر عدة قبل أن يطلق سراحه مقابل فدية مالية تتراوح بين 4 - 5 ملايين ل.س[248]. كما قد يتعرض العائد للسرقة والتحرش والابتزاز على يد الميليشيات، مثلما حدث مع عائلة الناري العائدة من حماة إلى معرة النعمان، فقد تعرض منزل العائلة للسرقة مرات عدة خلال أيام[249].

خ. ابتزاز الراغبين بالعودة

لم يستطع عناصر الميليشيات من أبناء المنطقة لعب دور كبير في تشجيع عودة النازحين، نظراً لغياب قدرتهم الأمنية والخدمية في تسهيل العودة وضمانها، وتركّز دورهم على عودة عائلاتهم فقط من مناطق النظام إلى مدنهم وقراهم، كدور أحمد السرماني/"الدحل" وفؤاد عواج في مدينة خان شيخون[250]، ونداء وصلاح غجر في بلدة التح، وأحمد الحسن في تحتايا[251]، وبعض عناصر الميليشيات في بلدة حيش[252].

أما عن دور هؤلاء بتشجيع عودة النازحين ضمن مناطق المعارضة، فقد كان سلبياً في معظمه، إذ انحصر تواصلهم مع النازحين بهدف ابتزازهم لدفع مبالغ مالية مقابل تسهيل عودتهم، كما حدث مع النازح عبد الرزاق النواف الغجر، وهو من أهالي بلدة التح، فبعد دفعه مبلغاً مالياً للشبيحة من أجل العودة، قاموا بمنعه من الدخول إلى أرضه وأخبروه أنها مصادرة من قبل المخابرات الجوية، وقد توفي على الفور بعد طرده من أرضه[253]. وتتجلى صورة الابتزاز الأخرى بتلفيق تهم "الإرهاب" للنازحين، بهدف إجبارهم على دفع مبالغ مالية ضخمة مقابل العودة. وفي هذا السياق يبرز دور أحمد الحسن/"حميدو"، فقد لفّق عدداً من التهم للأغنياء من أبناء قريته النازحين، بهدف ابتزازهم[254].

د. التضييق على المُلكيات العقارية

يتعرّض العائدون لتضييق قانوني - اقتصادي يعيق قدرتهم على استعادة مُلكياتهم العقارية، وبخاصة الأراضي الزراعية، وذلك عبر وضع قيود قانونية على استعادة الأراضي، مقابل فرض إتاوات على الأشخاص الذين استطاعوا استعادتها. إذ يحتاج العائد إلى إبراز أوراق المُلكيّة الخاصة بأرضه قبل السماح له بزراعتها، ولكن في بعض الحالات تكون الأرض ملكاً لأبيه أو جده، ويحتاج إلى شهادة وفاة وحصر إرث ليحصل فقط على حصته من الأرض. وقد يعمد بعض عناصر الميليشيات المحليين إلى عرقلة هذه العملية، إذا استطاع الشخص الحصول على أوراق تثبت ملكيته لجزء من الأرض، وذلك في حال وجود ورثة آخرين، فإنه يستطيع زراعة هذا الجزء فقط، فيما تُعرَض بقية الأرض في المزاد العلني[255].

وتعد عملية استخراج أوراق المُلكيّة معقّدة ومجهدة، وقد تستغرق أكثر من عام كامل، وعند تمكُّن العائد من زراعة أرضه تقوم قوات النظام المسيطرة في المنطقة بعمليات ابتزاز مستمرة للمزارع، تبلغ ذروتها خلال موسم القطاف، إذ لا بد لقوات

---

[248] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

[249] مقابلة هاتفية مع أبو حسن، وهو أحد نازحي مدينة معرة النعمان، مرجع سبق ذكره.

[250] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

[251] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[252] مقابلة هاتفية مع عضو في المجلس المحلي لبلدة حيش، تحفظ على ذكر اسمه لأسباب أمنية، مرجع سبق ذكره.

[253] مقابلة هاتفية مع مدير "مرصد المنطقة الوسطى"، مرجع سبق ذكره.

[254] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره

[255] مقابلة هاتفية مع أحد مسؤولي المجلس المحلي لبلدة التمانعة، مرجع سبق ذكره.

النظام من الحصول على جزء من المحصول، يكون في الغالب مبلغاً مالياً[256]، يساوي في معظمه نصف المحصول[257]. مقابل ذلك، يمارس أعضاء حزب البعث انتهاكات واعتداءات على ممتلكات المدنيين، على غرار استيلاء رئيس شعبة الحزب في خان شيخون أحمد حاج حسين، على ممتلكات كثير من أهالي المنطقة، وتقاسم محصول الزيتون مع قادة الميليشيات التي تنتشر في محيط المدينة[258].

كما قد يؤدي تداخل السيطرة والنفوذ بين الميليشيات إلى فرض إتاوات متعددة على المزارع الواحد، وقد تعرّضَ بعض أصحاب الأراضي للاعتقال بعد رفضهم دفع إتاوات خلال موسم الحصاد. إذ تفرض الميليشيات إتاوات على المزارعين الذين يستخدمون ألواح الطاقة الشمسية في تشغيل الآبار الزراعية والمنزلية، ونتيجة اضطرار المزارعين لدفع مبالغ مالية كبيرة للميليشيات تصبح الجدوى الاقتصادية للزراعة تعادل الصفر في أراضي الزيتون والفستق الحلبي. أما في أراضي السليخ "قمح وشعير" فقد خسر الفلاحون معظم رأس مالهم بعد زراعة أراضيهم، وبالتالي فإن الموجبات الاقتصادية للعودة انتفت، وباتت "اللاعودة" تساوي العودة في ميزان المزارع النازح [259].

نتائج وخلاصات

من خلال دراسة نموذج إعادة إنتاج السُلطة المحلية ضمن ريف إدلب الجنوبي، وبعد تحديد حوامل هذا النموذج، وآليات تفاعلها في إدارة المنطقة، ومالها من انعكاسات على سكانها و اقتصادها وتعافيها المُبكّروعودة النازحين، يمكن تثبيت مجموعة من النتائج والخلاصات على مستويات عدة، موزعة وفقاً لما يلي:

نموذج السُلطة المحلية (مقاربة مدروسة)

يعتمد النظام مقاربة محددة في إعادة إنتاج سُلطته المحلية ضمن المناطق التي استعاد السيطرة عليها مؤخراً، تستند إلى مزيج من الهياكل الرسميّة والشبكات غير الرسميّة. والتي تتفاعل فيما بينها لتُنتِج نموذجاً إشكالياً للسُلطة والإدارة المحلية، تتمايز فيه أدوار اللاعبين ومستويات نفوذهم، وتطغى عليه الصبغة الأمنية -الميليشياوية، وتتجلى ملامح هذا النموذج بحوامله الرئيسة التالية:

- **الميليشيات والأجهزة الأمنية:** يسيطر قادة الميليشيات المرتبطة بالأجهزة الأمنية على قمة هرم السُلطة المحلية في هذا النموذج، من خلال النفوذ الواسع الذي يمارسونه على المستويات العسكرية والأمنية والاقتصادية والإدارية، بداية عبر "اللجنة الأمنية العسكرية"، التي تُمثّل السُلطة العليا في المحافظة، مروراً بتقسيم قرى وبلدات ومدن المنطقة إلى قطاعات نفوذ خاضعة لميليشيات متعددة مرتبطة بأجهزة أمنية مختلفة.

[256] مقابلة مع صبحي العلوان، ناشط من ريف إدلب الجنوبي يعمل على رصد أحداث المنطقة، مرجع سبق ذكره.

[257] أحمد العكلة، الطريق إلى مناطق النظام عبر التهريب وخيبة أمل، مرجع سبق ذكره.

[258] أحمد العكلة، نازحو خان شيخون في مدينة إدلب: لن نعود، مرجع سبق ذكره.

[259] مقابلة هاتفية مع حسام السلوم، مدير المرصد الميداني "مباشر"، المتخصص برصد ريف إدلب الجنوبي، مرجع سبق ذكره.

وقد ترسّخت تلك السيطرة بشكل أكبر بعد الانتقال من الدور العسكري - الأمني إلى ممارسة أدوار إدارية وسياسية جديدة ضمن مستويات السُلطة التشريعية والتنفيذية والحزبية، إذ تمكّن أغلب قادة الميليشيات من الصعود في سُلّم قيادة فرع حزب البعث والمنظمات والاتحادات التابعة له في المنطقة، وكذلك الحصول على مقاعد في "مجلس الشعب"، وهياكل الإدارة المحلية بمختلف مستوياتها، ومن ثم التحوّل بدفع من النظام إلى وجهاء اجتماعيين ووسطاء محليين، بعد إقصاء أي دور للوجهاء السابقين. وبالنظر إلى تلك الأدوار المُركّبة والمتداخلة مع مختلف مستويات السُلطة، يتضح أن النظام يستند إلى مقاربة جديدة في بناء السُلطة المحلية للمناطق التي استعاد السيطرة عليها، تتلخّص في الاعتماد على الأجهزة الأمنية وقادة الميليشيات، مقابل تراجع دور مؤسسات الدولة الرسميّة. المقاربة التي تعزّز مكانة وأدوار قادة الميليشيات في إطار السُلطة وتضمن صعودهم في هياكلها ومؤسساتها، كما تضفي الطابع الرسمي على نفوذهم، في نموذج واضح على منحهم سلطات واسعة وتفويضهم جزءاً من صلاحيات الدولة، مقابل ضمان ولائهم وقتالهم إلى جانب النظام.

بالمقابل، ومن خلال رصد الميليشيات المُسيطرة وطبيعة تبعيتها، يُلحَظ بأن الاتفاقات التركية - الروسية المتعلقة بالمنطقة، تركت أثرها على خارطة الفاعلين من الميليشيات، إذ تتبع أغلب الميليشيات التي تفرض سيطرتها ونفوذها على ريف إدلب الجنوبي، للمخابرات الجوية السورية و"الفرقة 25" مهام خاصة المعروفة سابقاً بـ"قوات النمر"، والتي تتلقى دعماً وتدريباً روسياً، وقد شارك بعض عناصرها في الحرب الأوكرانية إلى جانب روسيا (260). في حين، تنتشر الميليشيات التابعة لإيران في المنطقة بنفوذ أقل، يتصاعد في مناطق أخرى على حساب الميليشيات التابعة لروسيا، كريف حلب الجنوبي.

- **حزب البعث:** يتمتع حزب البعث بمكانة مهمة في المقاربة الحوكمية التي يقدمها النظام، خاصة بعد تحوّل بُنية الحزب السياسية - الأيديولوجية إلى بُنية مُركّبة (عسكرية، أمنية، سياسية) وتعدد أدوار أعضائه. فقد سيطر أغلب قادة الميليشيات على النفوذ داخل الحزب، تحديداً ممن قادوا "كتائب البعث" سابقاً في المنطقة، مقابل تراجع نفوذ البعثيين المدنيين. كما سيطر البعث في نموذج السُلطة الحالي على مفاصل الإدارة المحلية للمحافظة، فبعد تنظيم "انتخابات" شكليّة للإدارة المحلية في 18 أيلول 2022، سادت خلالها "التزكية" محلّ الآلية الانتخابية، حصل حزب البعث على أكثر من 85% من مقاعد المجالس المحلية في جميع الدوائر الانتخابية، كما حصل كذلك على أكثر من 90%من مقاعد المكاتب التنفيذية، تاركاً بقية المقاعد لأحزاب "الجبهة الوطنية التقدمية" المقرّبة منه ولبعض المرشحين "المستقلين" من قادة الميليشيات والوجهاء المحليين. بالمقابل، يعلب الحزب وقنواته، دوراً مهماً في عمليات التعبئة والحشد لصالح النظام في المنطقة. خاصة مع سعي الحزب إلى بناء قواعده من جديد، وإعادة تفعيل المنظمات والاتحادات التابعة له في تنسيب أعضاء جدد، خاصة ضمن الفئات العمرية الأصغر، (طلائع البعث، اتحاد شبيبة الثورة).

وبنظرة عامة، نجد أن قادة الميليشيات يحوزن على نفوذ واسع داخل الحزب وفروعه في المنطقة، وبدوره يهيمن الحزب على مفاصل الإدارة المحلية، فبالتالي سيطرة قادة الميليشيات على تلك المفاصل. ومن خلال البُنية المُركّبة للحزب

[260] مقاتلو سورية في أوكرانيا.. حقيقة قوات النمر وإغراء الـ 600 دولار، الحرة، 18 نيسان/أبريل 2022، متوفر على الرابط التالي: https://bityl.co/IZvK

والأدوار المتعددة لأعضائه وتداخلها مع مختلف مستويات السُلطة المحلية، يظهر حيازة حزب البعث على المستوى الثاني من هرم السُلطة والنفوذ. عزّز ذلك أكثر، استمرار النظام بنهجه السابق القائم على فرض البعث قائداً للدولة والمجتمع، بما يتوافق مع نص المادة الثامنة من الدستور، والتي بالرغم من إعلان النظام إلغاءها عام 2012، إلا أن مفاعيلها العملية ما تزال مستمرة في الواقع، بل بأشكال وصيغ أكثر وضوحاً وعنفاً.

- **هياكل الإدارة المحلية:** تقبع المجالس المحلية وهياكل السُلطة التنفيذية ومؤسسات الجهاز البيروقراطي للدولة ضمن المستوى الثالث لهرم السُلطة المحلية. إذ تعاني المجالس المحلية والسُلطة التنفيذية للمؤسسات الحكومية من غياب الفاعلية والتأثير، بسبب مهامها المحدودة وعدم فاعلية عملها وتقلُّص أدوارها مقارنة بالنفوذ الواسع للأجهزة الأمنية والميليشيات والحزب. ووفقاً لذلك، اقتصرت أدوار المؤسسات المدنية الرسميّة، كالمحافظة والمجالس المحلية والبلدية وغيرها من المؤسسات الحكومية، على إظهار استمرار وجود "النموذج الرسمي للإدارة المحلية"، فتحوّلت بذلك إلى غطاء رسمي يقنن سُلطة الميليشيات ويمأسس نفوذها على الأرض.
- **الوجهاء الاجتماعيون:** بالرغم من حاجة النظام إلى طبقة الوجهاء المحليين في التواصل مع المجتمع الذي تتم فيه إعادة إنتاج سُلطة النظام، إلا أن الدور الفاعل لهؤلاء الوجهاء يغيب ضمن النموذج الجديد للسُلطة المحلية في المنطقة، وذلك بسبب تغيير خارطتهم من جهة، إذ فضّل معظمهم البقاء في مناطق النزوح، مع انحسار أدوار العائدين منهم. مقابل صعود وجهاء جدد من قادة الميليشيات والمقربين من النظام دون نفوذ اجتماعي حقيقي. والذين اقتصر توظيفهم على أدوار الوساطة المحلية في ملفات عدة، على رأسها النازحون، ولكن دون جدوى تذكر.

إدارة الاقتصاد والخدمات (تعافي مُنفِّر)

يؤثر موقع الميليشيات في هرم السُلطة المحلية على عملها وطبيعة أدوارها، خاصة فيما يتعلق بإدارة اقتصاد المنطقة ومستوى الخدمات، إذ يُظهر رصد آليات تقديم الخدمات ومستواها، وطريقة إدارة وتسيير اقتصاد المنطقة وانعكاساته على السكان المحليين، النتائج التالية:

- **تمويل الميليشيات:** أدى النفوذ الواسع لقادة الميليشيات إلى انعدام آلية واضحة لإدارة اقتصاد المنطقة، وتحوّلها واقتصادها القائم على الزراعة إلى مصدر تمويل للميليشيات، إلى جانب مصادر أخرى أخذت شكل ممارسات انتقامية من السكان، فقد نفّذت الميليشيات عمليات" تعفيش" واسعة النطاق شملت جميع مدن وبلدات وقرى المنطقة، كما شمل بعضها ممتلكات المؤسسات الرسمية. وقد اتخذت عمليات السرقة طابعاً مُنظّماً، عبر منح عقود "تعفيش" لتجار ومتعهدين مقربين من الميليشيات، وتقسيم العملية على مراحل تبدأ بسرقة كل محتويات المنزل وتنتهي بهدمه لاستخراج حديد التسليح. وتتراوح نسب المنازل المهدمة بهدف الحصول على حديد التسليح بين 70% إلى 90% من مجموع منازل المنطقة، مع تركّز مرحلة الهدم في القسم الشمالي من ريف إدلب الجنوبي. بالمقابل، وصلت نسبة الأراضي الزراعية المصادرة من النازحين إلى أكثر من 90% من مجموع أراضي المنطقة، خضع بعضها لاستثمار قادة الميليشيات، بينما عُرِضَت أخرى للاستثمار عبر مزادات علنية، انتهت لصالح مستثمرين وتجار مقربين من قادة

الميليشيات، الأمر الذي يعكس مدى تسخير السُلطة في خدمة مصالح قادة الميليشيات وأصحاب النفوذ ممن أبدو ولاء مطلقاً للنظام.

- **"بروباغندا" الخدمات:** تتراجع فاعلية المؤسسات الرسمية بشكل واضح على مستوى الخدمات المقدمة للسكان المحليين، إذ يقتصر دور الإدارات المحلية على تقديم خدمات جزئية وأخرى وهميّة تتركز في 3 مناطق فقط: خان شيخون والتمانعة والتح، بهدف الترويج الإعلامي لقدرتها على إدارة المنطقة وتحقيق الاستقرار وتشجيع عودة النازحين. مقابل ترميم بعض المباني الحكومية والمرافق العامة الأساسية، والتي يتم بعضها من قبل قادة الميليشيات والوجهاء المحليين وأصحاب رؤوس الأموال المرتبطين بالميليشيات، بهدف محاباة النظام. بينما تتم عمليات ترميم أخرى، خاصة المدارس، عبر منظمات دولية، كـ"اليونسيف"، والتي يتم نسبها للإدارت المحلية في المنطقة.
- **الخِدمة مقابل الولاء:** يتولى قادة الميليشيات تأمين خدمات محدودة للسكان بهدف تشجيع الانتساب لهذه الميليشيات والترويج لها. كما يتولى بعض التجار المقربين من الميليشيات بالتعاون مع الإدارات المحلية تقديم محفزات ومساعدات محدودة وربطها بحضور الفعاليات والاحتفاليات الداعمة للنظام في المنطقة، ودفع السكان للمشاركة فيها، بهدف إظهار مدى التأييد الشعبي للنظام وقدرة السُلطة المحلية على تحقيق الاستقرار وحشد السكان خلفها. ووسط سيطرة الميليشيات على جميع أنواع النشاط الاقتصادي في المنطقة وتراجع فاعلية الهياكل الرسمية في تقديم الخدمات، يعتمد أهالي المنطقة على الجهود الفردية والجماعية في تأمين خدمات بدائية لا توفر أدنى مقومات الحياة الأساسية.
- **تعافي الميليشيات:** أثّر نموذج السُلطة المحلية في ريف إدلب الجنوبي بشكل سلبي ومباشر على مرحلة التعافي المُبكّر فيها، بسبب سيطرة الأجهزة الأمنية والميليشيات على أغلب مفاصل هذه السُلطة، مقابل انحسار أدوار المؤسسات الحكومية الرسمية بشكل يمنع تحقيق الاستقرار. ونظراً لسيطرة الميليشيات على المنطقة والنفوذ الواسع لقادتها، يمكن القول: إن الدعم والمساعدات الدولية المقدمة بهدف تعزيز التعافي المُبكِّر في المنطقة، ستؤدي بشكل أو بآخر إلى تعزيز سيطرة هذه الميليشيات، وتحويل الأموال الدولية إلى مصدر تمويل جديد لقادتها وعناصرها.

ملف النازحين (سياسة اللاعودة)

ساهم نموذج السُلطة المحلية القائم في ريف إدلب الجنوبي، بالتأثير بشكل مباشر على ملف عودة النازحين، إذ عرقلت مكونات هذا النموذج وآليات تفاعلها عودة الجزء الأكبر من نازحي المنطقة، في حين شهدت بعض المناطق عودة جزئية محدودة. ووفقاً لدارسة أنماط عودة النازحين إلى المنطقة ومعوقاتها، يمكن تثبيت النقاط التالية:

- **عودة جزئية:** تركّزت عودة النازحين في بلدات وقرى القسم الجنوبي الشرقي من الريف الجنوبي للمحافظة، وبلغت أوجها في مدينة خان شيخون وبلدات التمانعة والتح والخوين، حيث تتراوح نسبة العائدين بين 15% و40% من مجموع عدد السكان المُقدَّر في عام 2011. بالمقابل، تنخفض نسب العودة إلى ما دون 1% في مناطق جرجناز وتلمنس ومعرة حرمة، مع انعدامها في مدينة معرة النعمان والبلدات المحيطة بها.

- **مُحدِّدات العودة:** أثّرت عوامل عدة في اختلاف نسب العودة وتركّزها في مناطق محددة دون أخرى، على رأسها النشاط الزراعي للمنطقة، إذ ارتفعت نسب العودة في مناطق زراعة الفستق الحلبي وانخفضت في مناطق زراعة الزيتون والأراضي البعلية. وتمثّل أغلبها بشكل عودة موسمية تبدأ مع بداية الموسم الزراعي وتنتهي بنهايته. بالمقابل، لعب وجهاء بعض العشائر ومسؤولو النظام دوراً في تركّز نقاط العودة، إذ تركّزت العودة في بعض القرى ذات الصبغة العشائرية ومناطق النشاط الإداري للمؤسسات الحكومية والمناطق التي ينتمي لها عدد من المسؤولين، فقد ارتفعت نسبة العائدين لبلدات الخوين وأبو حبة وأم جلال إلى حوالي 40%، بسبب الوساطات المحلية التي يلعبها بعض الوجهاء المقربين من النظام، خاصة في المناطق ذات الطابع العشائري. كما كان للواقع الاقتصادي ورغبة بعض النازحين في الهجرة خارج سورية دورٌ في تشجيع عودة بعضهم إلى ريف إدلب الجنوبي، أملاً في الحصول على وثائق رسمية تُسهّل هجرتهم، الأمر الذي يُنذر باستمرار تدفق اللاجئين وسط تحوّل تلك المناطق إلى بيئة طاردة، ويشير من جهة أخرى إلى عبثية الحديث عن عودة اللاجئين في ظل العجز عن تثبيت من بقي في تلك المناطق.
- **موانع وعراقيل:** ساهم تصميم مكونات السُلطة المحلية وأدوارها في اقتصار العودة الجزئية للنازحين على بعض البلدات والقرى وانعدامها في أخرى، وذلك لأسباب عدة، منها: تراجع دور المؤسسات الحكومية واقتصارها على تقديم خدمات جزئية أحياناً ووهمية أحياناً أخرى، مقابل تنامي دور الميليشيات، ما جعل آليات إدارة المنطقة مرتبطة بالمصالح الشخصية بعيداً عن تحقيق بيئة آمنة للعودة. إضافة إلى فرض مناطق عسكرية يمنع فيها وجود المدنيين، وعدم فاعلية دور الوجهاء والوسطاء المحليين، ومطالبة الراغبين بالعودة بتصاريح أمنية يصعب الحصول عليها، مروراً بابتزازهم وارتكاب انتهاكات ضدهم كـ"التعفيش" وهدم المنازل بهدف استخراج حديد التسليح، وصولاً إلى تسخير اقتصاد المنطقة القائم على الزراعة في سبيل تحقيق مصالح قادة الميليشيات والوجهاء المرتبطين بالنظام.

  بالمقابل، فإن تسليم إدارة ملف عودة النازحين للميليشيات والأجهزة الأمنية وبعض الوجهاء المقربين من السُلطة، ساهم في عرقلة أي عودة فعلية وحقيقة، نتيجة استمرار تعرض السكان لأعمال عنف من قتل واعتقال وخطف على يد الميليشيات، ومصادرة الأراضي الزراعية وتقنين التعدي على الممتلكات العقارية، واتباع سياسيات العقاب الجماعي ضد حواضن المعارضة. فضلاً، عن غياب البرامج الرسميّة لتأمين مساكن للعائدين، إضافة إلى تنظيم قادة الميليشيات "برامج إغاثة" محدودة مقابل انضمام المستفيدين إلى صفوفها، مما يدفع باتجاه استمرار عسكرة المنطقة.

- **خارج الأولويات:** من خلال واقع المنطقة ونموذج إنتاج السُلطة المحلية القائم، يمكن القول: إن ملف عودة النازحين واللاجئين، ليس ضمن الأولويات في مقاربة بناء السُلطة المحلية التي يطرحها النظام، فوضع قادة الميليشيات على رأس هذه السُلطة، وتسخير اقتصاد المنطقة لتمويلهم وخدمة مصالحهم، خلق حالة من تعارض مصالح قادة الميليشيات مع عودة النازحين، إذ ستؤدي العودة إلى تراجع أدوار الميليشيات في تعزيز سُلطة النظام وتقليص مصادر تمويلها، وسط عجز المؤسسات الرسمية عن توفير بيئة مناسبة للعودة.

خاتمة

تُمثِّل طبيعة السُلطة المحلية في ريف إدلب الجنوبي، نموذجاً مصغراً عن أغلب مناطق المعارضة التي استعادها النظام خلال السنوات الفائتة، لناحية الاعتماد على حوامل متطابقة من القوى العسكرية والأمنية-الميليشاوية وحزب البعث ووسطاء محليين مقربين منه. وعليه، يمكن القول: إن النظام يمتلك مقاربة موحدة لإعادة بناء سُلطته المحلية في أغلب مناطق المعارضة التي استعاد السيطرة عليها. وهذا ما يجعل بعض مناطق مدينة حلب، ريف حلب الجنوبي، ريف حماة الشمالي والغربي، ريف حمص الشمالي، درعا، دير الزور، الغوطة الغربية والشرقية والقلمون بريف دمشق، إلخ. جميعها مناطق تدار من قبل الميليشيات بشكل رئيس، إلى جانب الدور القيادي لحزب البعث في الإدارة المحلية. مقابل انحسار فاعلية مؤسسات الدولة الرسمية ومحدودية أدوارها، وتحوّلها إلى غطاء رسمي يقنن سُلطة الميليشيات ويمأسس نفوذها. الأمر الذي يساهم بشكل مباشر في عرقلة عودة النازحين إلى معظم هذه المناطق، ويُنذر بفشل متوقع لأي تسويات تنص على عودة اللاجئين من الدول الأخرى في ظل النفوذ الميليشياوي الواسع المتحكم في السلطات المحلية والمدعوم من قبل النظام.

إن ارتكاز النظام إلى الحوامل ذاتها في تشكيل نموذج السُلطة المحلية ضمن المناطق التي استعاد السيطرة عليها، مقابل توافق آليات تفاعل هذه الحوامل في تسيير وإدارة شؤون تلك المناطق وتوزيع الأدوار داخلها؛ يوضّح طبيعة السياسة العقابية الجماعية التي يتخذها النظام ضد حواضن المعارضين لحكمه. وتتجلى ملامح هذه السياسة بالحرمان من الخدمات الضرورية للحياة، وتقسيم تلك المناطق إلى مجالات سيطرة ونفوذ تتحكم فيها الميليشيات، وتقنين سيطرة الأخيرة على الموارد والنشاط الاقتصادي، وتحويله إلى مصدر تمويل مفتوح لقادتها وعناصرها، عبر عمليات "التعفيش" الممنهجة وهدم المنازل، ومصادرة الأراضي الزراعية والممتلكات العقارية للنازحين. لتتوج هذه السياسة العقابية بعرقلة عودة المُهجّرين والدفع أكثر نحو تعزيز وضمان عسكرة المجتمع المحلي.